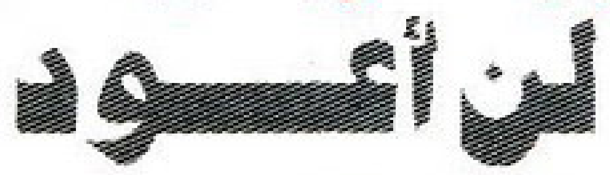


روايات مصرية للجيب





شريف شوقي

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

إن الحب بمعناه الكبير .. ومعناه السامى ، وبابتعاده عن الأنانية والرغبات والشهوات ، لهو أعظم شىء خلقه الله فى هذا الوجود !!

وفى هـذا الزمن الذى طغت فيـه الأطماع المادية والأنانية الفردية ، نحن نحتاج الآن لمن يسمو بمشاعرنا .. نحتاج لهـذا النـوع من الحب .. نحتـاج لزهور نستنشق عبيرها ، فتحرّك مشاعرنا ، وترقق عواطفنا ..

وفى كل قصة من قصص هذه السلسلة ، دعنا ننتقل من زهرة إلى زهرة .. فى بستان ملؤه جمال المشاعر .. ورقة الأحاسيس .. وزهور الحب.

المؤلف

١ ـ الهارب من الحب ..

انعكست نظرة افتتان وانبهار حالمة ، على عينى (ليلى) ، وهى تتطلّع من فوق ربوة عالية خضراء ، إلى بستان وارف من الزُّهور ، عند سفح الرَّبوة ، وعيناها تشفَّان عن إعجابها بكل ذلك الجمال ، ثم لم تلبث أن أسرعت تهبط منحدر التلّ الأخضر إلى البستان ، وثوبها الأبيض الحريرى يتطاير حول جسدها الرقيق ، فبدت كملاك يفهف فى طريقه إلى الفردوس ، وامتدّت يدها تجمع طاقة من الزهور ، وهى تنتقل من مكان إلى آخر كفراشة راقصة حالمة سعيدة ..

وفجأة ، امتدّت يد خشنة قاسية ، تحمل شعلة من اللّهب ، وصرخت (ليلى) عندما أحاطت النيران بالبستان ، وسقطت الزهور من يدها ، والجحيم يحاصرها من كل جانب ، حتى تحوّل فزعها إلى صرخة استغاثة رهيبة ..

وانشقَّ التلّ الأخضر عن فارس ممشوق القوام ، على صهوة جواد أبيض ، واندفع الفارس ينهب الأرض بجواده نحو البستان المشتعل ، واقتحم النيران غير عابئ بما يعرّض له نفسه

من مخاطر ، وانحنى يحمل (ليلى) بين ذراعيه ، وحملها على صهوة جواده ، ووثب به فوق النيران ، وكأنما يملك جناحين ..

وفوق بقعة خضراء جميلة ، توقَّف الفارس ، وهبط من فوق جواده ، وعاون (ليلى) على الهبوط وقد فقدت وعيها ، وأرقدها فوق الأرض الخضراء ، وهو يتأمَّلها بنظرات حبٍّ وعطف وحنان ، حتى فتحت عينيها ، ورأته ماثلًا أمامها ، فاتسعت حدقتاها ، وهى تهتف باسمه فى لهفة :

ــ (خالد) .. (خالد) .

وعادت تُغلق عينيها مرَّة أخرى ، وقد بدت كالنائمة ، فانتزع الفارس قميصه ، ووضعه تحت رأسها ، وتراجع فى حنان ، دون أن يبعد عينيه عنها ، وراح يتأمَّلها فى حبٍّ ، واسمه يتردَّد بين شفتيها فى همس ، ثم اعتلى صهوة جواده ، وألقى عليها نظرة أخيرة بعينين حزينتين ، قبل أن يجذب عَنان جواده ، وينطلق به مبتعدًا عن المكان ، وتعالَى من خلفه صوت الفتاة تهتف :

ــ (خالد) .. (خالد) ..

ولكن الفارس وجواده راحا يبتعدان فى الأفق ، حتى تلاشيا

فيه ، وتحوَّل صوت (ليلى) إلى ما يشبه الأنين ، وهى تردِّد اسمه ..

ثم أطلقت صرخة مدوِّية ..

وانفتح باب الحجرة ، واندفعت منه فتاة ، إلى حيث ترقد (ليلى) منكمشة فى فراشها ، وقد ضمَّت ساقيها إلى صدرها بذراعيها ، وألقت رأسها فوق ركبتيها ، وهى تبكى فى حرارة ..

وجلست الفتاة إلى جوارها ، واحتضنتها بذراعيها ، قائلة :

ــ ماذا حدث يا حبيبتى ؟.. أهو ذلك الحُلم مرَّة أخرى ؟

قالت (ليلى) وهى تنتحب :

ــ نعم .. إنه هو يا (سلوى) .. نفس الحُلم .

ورفعت إليها عينين مغرورقتين بالدموع ، مستطردة :

ــ لقد رأيته هذه المرَّة أيضًا .. لقد انتشلنى من بين النيران ، على صهوة جواد أبيض ، وحملنى إلى بقعة آمنة ، ثم رحل عنِّى بغتة .. أردت أن أستبقيه .. توسَّلت إليه أن يبقى ، ولكنه لم يستجب لندائى .. لقد ابتعد وابتعد ، حتى اختفى مع جواده .

غمغمت (سلوى) محاولة تهدئتها :

ــ (ليلى) .. إنه مجرَّد حُلم .

هزَّت (ليلى) رأسها فى يأس ، وهى تقول :

— بل هو تعبير عن حقيقة تعسة ، أصبحت أحيا فيها يا (سلوى) .. حقيقة أن (خالد) قد رحل .. رحل ولن يعود أبدًا .. أعلم أنه ليس من حقّى حتى أن أبكى أو أتألّم لفراقه ، فأنا الملُومة .. أنا التى أضعته ودفعته إلى الرحيل ، ولكن (خالد) لم يحمل فى صدره أبدًا قلبًا قاسيًا .. فلماذا يقسو علىّ إلى هذا الحدّ ؟ لِمَ لا يغفر لى ؟.. كيف طاوعه قلبه على هجرانى ؟.. آه لو يعلم مدى أسفى وندمى لفراقه !.. لو يعلم كم أحتاج إليه !.. إلى حبّه الكبير ، الذى طالما غمرنى به !.. للثقة والأمان اللذين كنت أشعر بهما وأنا إلى جواره .. لو يعلم مدى صدق حبّى ومشاعرى نحوه هذه المرّة !.. ليته أتاح لى فرصة إثبات صدق حُبّى له .

قالت (سلوى) ، وهى تحاول التغلّب على انفعالاتها :

— من يدرى يا حبيبتى ؟.. ربّما عاد يومًا ، فالأمل موجود دائمًا .. فقط حاولى أن تهدئى الآن ، وأن تعودى إلى النوم ، هيّا .. فأنت مريضة ومتعبة ، وتحتاجين إلى الراحة .

أومأت (ليلى) برأسها إيجابًا فى استسلام ، ورقدت فى فراشها صامتة ، مغلقة العينين ..

ولكن الصورة لم تفارق ذهنها ..

صورة (خالد) ..

* * *

انهمك (خالد) فى فحص عيّنة من التّربة ، بواسطة مِجْهَره ، فى أحد معامل البترول ، بدولة الإمارات العربية ، عندما فُتح باب المعمل ، ودلف منه زميله المهندس (يوسف) ، وهو يقول :

— ألَمْ تنته من عملك بعد يا خالد ؟.. لقد ذهب الجميع إلى النادى .

خالد :

— لقد شارفت على الانتهاء .

يوسف :

— هل تبشّر تلك العيّنة بخير ؟

ابتسم (خالد) ، قائلًا :

— جدًّا .. إن نسبة الخام فيها مرتفعة للغاية ، ولست أبالغ لو قلت إنها تتعدّى التسعين فى المائة .

يوسف :

— إنها نسبة رائعة .. حسنًا .. أنصت إلى أخبارى الهامة أوّلًا .. لقد وصلنى اليوم خطاب من (سميحة) .

نهض (خالد) من مقعده ، وخلع معطفه الأبيض ، وهو يقول :

ــ رائع .. كنت تشكو من تأخر خطاباتها .

يوسف :

ــ إنها تتعجّل عودتى ، على الرغم من أنها تعلم جيّدًا أن الإجازة السنوية ستأتى بعد ثلاثة أشهر كاملة .

علّق (خالد) معطف العمل فوق المشجب ، قائلًا :

ــ يبدو أنها تحبُّك كثيرًا .

قال (يوسف) مزهوًّا :

ــ أكثر مما تتصوَّر .. لو أطلعتك على خطابها الأخير فستدرك مدى حبّها لى .

ابتسم (خالد) ، قائلًا فى استخفاف :

ــ الحبّ ليس عبارات منمّقة على الورق يا صديقى ، فهو أكبر من ذلك كثيرًا .

هتف (يوسف) :

ــ ماذا تعْنى ؟

ربَّت (خالد) على كتفه ، قائلًا :

ــ أأنت واثق من حبّ (سميحة) لك ؟

يوسف :

ــ تمام الثقة .

خالد :

ــ حسنًا .. أرجو أن تكون ثقتك فى محلّها .. هيّا نذهب إلى النادى .

استوقفه (يوسف) ، قائلًا :

ــ مهلًا يا (خالد) .. ألا تلاحظ أنك غريب الأطوار بعض الشىء ؟

ضحك (خالد) ، قائلًا :

ــ ماذا تعْنى بغريب الأطوار هذه ؟

يوسف :

ــ إنك تميل دوْمًا إلى الوحدة والصمت ، وإذا ما تجاوزتهما ، فإنك تتحدَّث بعبارات غامضة ، وأنا تقريبًا صديقك الوحيد هنا .

خالد :

ــ وما الغريب فى أن يميل الفرد إلى الهدوء والعُزلة ؟.. إننى لست منطويًا كما تحاول تصويرى ، ثم إنك الصديق الوحيد لى ، لأننى أثِق بك ، وأثِق فى أنك مخلص أمين .

يوسف :

ــ لو أنك تثق فىَّ حقًا ، وفى إخلاصى ، لكشفت لى عن السّرّ الذى يختفى وراءك ، فمنذ حضورك إلى هنا ، لم تغادر المكان أبدًا ، ولا تصلك أيَّة رسائل من أيَّة جهة أو أى شخص ، ولم أرك أبدًا تُرسل ولو رسالة واحدة مثل الجميع ، ثم إنك ترفض الإجازات الرسمية ، وتفضّل البقاء فى موقع العمل ، وكأنك تحاول الانعزال عن العالم أجمع .. صحيح أننا جميعًا هنا من أجل العمل ، ومن أجل تحسين أوضاعنا المادية ، ولكنك وحدك تبدو وكأنك قد لجأت إلى هذا المكان النّائى ؛ لتختفى من شىء ما يطاردك .. وهذا ما أشعر به .

تطلّع إليه (خالد) فى غضب ، وانفعل قائلًا :

ــ حسنًا .. هل جعلت من نفسك محلّلًا نفسيًا لكشف عُقَدِى وأسرارى .. لقد أخبرتك أكثر من مرَّة أنه لا شأن لك بحياتى الشخصية ، ولو أنك تظن أن صداقتك لى ستمنحك هذا الحقّ ، فأنا أتنازل عن هذه الصداقة .

وغادر المعمل كالعاصفة ، وأغلق الباب خلفه فى قوة ، تاركًا صديقه من خلفه فى حَيْرة ..

وانطلق إلى حجرته ، وألقى جسده على الفراش ، وهو يحدّق فى سقف الحجرة فى شرود ..

لماذا يسعى (يوسف) وغيره لنبش أسرار حياته ؟! ..

لماذا لا يتركونه لينسى ؟!

لينسى آلام وأحزان ماضيه ..

نعم .. إنه يعترف .. لقد جاء إلى ذلك المكان حاملًا مشاعره الجريحة ، آملًا فى نسيان ذكرى حبّه الفاشل ..

حبّه لـ (ليلى) ..

ذلك الحبّ الذى لم يجلب له سوى التعاسة والشقاء ..

الآن فقط بدأ يتأقلم مع وضعه الجديد ، ويتعايش مع النسيان ..

أفاق من شروده على صوت دقَّات على باب حجرته ، فهتف فى ضيق :

ــ ادخل ..

فُتِح الباب فى بطء ، ودخل منه (يوسف) ، الذى وقف متردِّدًا بضع لحظات ، قبل أن يقول :

ــ لقد أتيت لأعتذر .. أعلم أنه لم يكن من حقّى أن أحاول التدخّل فى حياتك الخاصة ، وأنه كان ينبغى أن أحترم رغبتك فى إخفائها ، ولكننى رأيت أنه بحكم الصداقة .. أعْنى أنه .. أقصد .. حسنًا .. إننى أُكرِّر اعتذارى على أيَّة حال .

نهض (خالد) من فراشه ، وأحاط كتف صديقه بساعده ، وهو يقول :

ـ أنا الذى يجب أن يعتذر ، فلقد كنت فظًّا عنيدًا معك .. إننى أقدِّر أن دافع محاولتك كشف أسرارى هو حبّك وصداقتك ، ولكن صدِّقنى يا (يوسف) .. ليس هناك ما يدعوك إلى القلق بشأنى ، فأنا سعيد بحياتى هنا ، وبوجودى فى هذا المكان النائى ، سعيد بعملى فى معمل البترول ، وليس هناك ما يمكن أن يجلب لى السعادة هنا سوى عملى .. ألا يكفيك أن تعلم هذا ، لتتركنى أنعم بسعادتى ؟.. ألا يكفيك أن تعلم أن أيّة محاولة للتنقيب فى حياتى الخاصة ، والبحث فيها عن روابط وعلاقات ، يثير بداخلى بعض المشاعر المؤلمة ، التى أبذل أقصى جهدى لتجنبها ؟.. ألا يكفيك هذا ؛ لتمتنع عن خوض تلك الأمور مرّة أخرى ؟

ابتسم (يوسف) ، مغمغمًا :

ـ إنه يكفى ، فالمهم هو أن تظلّ سعيدًا .. والآن .. هل تصحبنى إلى النادى ؟ لقد أحضروا بعض شرائط الأفلام الأجنبية والعربية الحديثة ؟

خالد :

ـ كنت أودّ ذلك ، ولكن يبدو أننى قد أرهقت نفسى كثيرًا اليوم ، وأحتاج إلى بعض الراحة والنوم .

يوسف :

ـ كما يحلو لك ، ولكن لا تنسَ الاستيقاظ مبكرًا .. لتصحبنا إلى موضع الحفر كطلبك .. نومًا هنيئًا .

غادر (يوسف) الحجرة ، وبقى (خالد) وحده يفكّر .

ـ أهذه هى السعادة ، التى يرجوها حقًّا ؟.. أهو سعيد بحياته ، أم أنه يفرّ من أحزانه فحسب ؟.. تلك الأحزان التى ظنّ أنه قادر على دفن سعادته فى الرمال معها ..

وعاد يستلقى فى فراشه محاولًا اصطياد النوم ، الذى فرّ من عينيه تمامًا ، وذكرياته تسبح به إلى الماضى ..

ـ إلى ڤيلّا جدته ، حيث كان يذهب فى الماضى ، وهو بعد صبىّ فى الثانية عشرة من عمره ، خلال العطلات الصيفية ..

هناك التقى بـ(ليلى) ، الإنسانة الوحيدة التى أحبّها فى هذا العالم ، منذ عرف قلبه معنى كلمة حُبّ ..

الإنسانة التى دفعته إلى هذا السجن ..

* * *

٢ ـــ حُبّ وغيْرة ..

فيلّا الجدَّة (نازك هانم) فى الإسماعيلية ، هى آخر ماتبقَّى من مظاهر الأرستقراطية لهذه السيِّدة الطيِّبة ، التى تنتسب إلى أسرة كبيرة ثرية ، ذات عراقة ، وإلى زوج من كبار مفتشى الرى بالأقاليم ..

و (نازك هانم) هذه هى جدة (خالد) ، الذى فقد جده ووالده منذ طفولته ، وكانت أسعد أوقاته هى تلك التى يقضيها فى فيلّا جدَّته بـ(الإسماعيلية) ، فى الإجازات الدراسية الصيفية ، يمرح وينطلق حرًّا ، وينعم بحنان وتدليل جدَّته ، التى تُكِنُّ له اعتزازًا خاصًّا ، وحبًّا وحنانًا جارفين ، ربَّما لأنه نشأ يتيمًا ..

ولم يكن التدليل والحنان وحدهما ما يجذبان (خالد) ، فى تلك الفترة ، وإنما أيضًا لقاؤه العائلى بعمه الدكتور (خيرى) ، وابن عمه الآخر (محسن) ، الذى يماثله فى العمر ، بل الأكثر أهمية هو لقاؤه بـ(ليلى) ، التى تقطن المنزل المجاور لفيلّا جدَّته ، والتى تفتَّح قلبه على حبِّها ..

وكانت (ليلى) تقيم فى فيلّا والدها الدكتور (فؤاد) ،

وكان هذا الأخير وزوجته صورتين للنُّبل والطِّيبة والإنسانية ، على نحو يعجز معه ألَّا يمنحهما الناس كل حبّ واحترام وتقدير ، فلقد وهبَ الدكتور (فؤاد) نفسه لمهنة الطب بكل إنسانيتها ، دون أن يخدعه بريق المادة ، وتجذبه العيادات الخاصَّة ، ولطالما رآه (خالد) يهرول فى ساعات متأخرة من الليل ؛ لعلاج مريض فقير بسيط ، وكأنه يذهب لأداء واجب مقدَّس ..

وعلى الرغم من أن جدَّته كانت من ذلك النوع ، الذى يصعب عليه إقامة علاقات قوية مع الآخرين ، إلَّا أنها كانت تعتبر الدكتور (فؤاد) وزوجته كابنين لها ، وتعتبر (ليلى) حفيدتها ، ولقد نشأت علاقة قويَّة بين عمه الدكتور (خيرى) والدكتور (فؤاد) ، وأصبح يقضى معه جل وقته ، كلما قدم إلى (الإسماعيلية) ، وبحكم هذه العلاقة الوطيدة ، توطَّدت الصلة بين أبناء العم (خالد) و (محسن) ، وبين (ليلى) ، فراحت هذه الأخيرة بِدَوْرِهَا تتطلَّع إلى العطلات المدرسيَّة ، فى انتظار حضورهما ، وقضاء الأوقات المرحة السعيدة لها ، بصحبتهما ، وكذلك كان (خالد) يتعجَّل الأيام ليلتقى بها ، وإن تعدَّت لهفته رغبة المرح واللهو إلى عاطفة حائرة ، عجز صباه عن تبيُّنها ، إلى أن أنبأه شبابه فيما بعد أنها عاطفة متَّقدة ، يطلقون عليها اسمًا يجمع كل أحاسيسها ..

اسم الحبّ ..

ويا لها من أيام !!..

كان كل ما يبغيه هو أن يبقى إلى جوارها ، وأن يرى شعرها الذهبى المتطاير مع هبّات النسيم ، وابتسامتها الخلّابة تتراقص فوق شفتيها ..

وكانت متعته هى دُعاباتهما الشقيّة ، وهى تُلقى حبّات العنب فوق رأسه ، أو تخفى حذاءه ، وتجعله يقلب ڤيلّا جدته كلها بحثًا عنه ..

ولكنه لم يكن وحده هدف دُعاباتها ، فلقد كان النصيب الأكبر منها لابن عمه (محسن) ، الذى كان أكثر قدرة على التجاوب مع مزاحها ، وأكثر مقدرة على جذب الانتباه ، بما توافر له من طبيعة مرحة وحيوية ، وانطلاقة فى الحديث ، فى حين كان هو خجولًا قليل الحديث ، وإن ماجت أعماقه بخضمٍّ من مشاعر حيّة ، يعجز لسانه دوْمًا عن التعبير عنها ..

وعندما بلغ مرحلة الشباب ، وأمكنه أن يشرح انفعالاته ومشاعره ، كان الوقت قد مضى .. إنه يذكر ذلك اليوم ، عندما انفرد بـ (ليلى) ، فى منزل جدّته ، وهو يستذكر ويشرح لها بعض دروس اللغة الإنجليزية ، ثم توقّف عن الحديث ،

واختلس النظر إلى والدها ، الذى ينهى أحد أدوار الشطرنج مع عمه ، بعد أن استدعاه أحد المرضى ، وأسرع يغادر الڤيلا تاركًا ابنته ، وصعد العم إلى حجرته لبعض الراحة ، وكانت الجدّة قد استسلمت للنوم منذ مايقرب من الساعة ، ووجدها (خالد) فرصة مناسبة ، مواتية للتعبير عن عواطفه ومكنونات قلبه ..

ولم يكن ذلك سهلًا أبدًا ..

لقد تردّد طويلًا ، وتشتّت ذهنه كثيرًا ، ولاحظت (ليلى) اضطرابه ، فحدّقت فيه ، قائلة :

ـــ (خالد) .. أهناك شىء ؟!

أغلق الكتاب ، وهو يقول :

ـــ نعم .. (ليلى) .. أريد أن .. أن .....

ارتسمت على شفتيها ابتسامة صغيرة ، لم تلبث أن اتسعت ، وتحوّلت إلى ضحكة كبيرة ، زادت من اضطرابه ، فسألها متوتّرًا :

ـــ لم تضحكين ؟

سيطرت على ضحكتها ، وهى تقول فى قليل من الجِدّيّة :

ـــ معذرة ، ولكنك ذكّرتنى بما كنت عليه فى العام

الماضى ، عندما رُحت تردِّد نفس الكلمات المتلعثمة لنصف ساعة كاملة ، لتخبرنى فى النهاية بأنك ترغب فى استعارة إحدى رواياتى .

خالد :

ــ ربما فعلت ذلك ؛ لأن الرواية لم تكن مطلبى الحقيقى .

سألته فى حَيْرَة :

ــ ما الذى كنت تريده إذن ؟

أجابها مرتبكًا :

ــ نفس ما أريده الآن ، وأعجز عن التعبير عنه .

أطلقت ضحكة سريعة ، ابتلعتها فى سرعة أكبر ، وهى تقول :

ــ أتعلم أنك تبدو لى أحيانًا شديد الغرابة ؟ فعلى الرغم من الصداقة القوية ، التى تربطنا منذ طفولتنا ، وساعات اللهو والمرح ، التى عشناها معًا ، إلَّا أنك تبدو أحيانًا كما لو أننا نلتقى لأوَّل مرَّة ، فتبدو متحفِّظًا للغاية ، أو مرتبكًا بلا مبرِّر .. لقد رَوَتْ لى جدَّتك الكثير عن طبيعتك الحسَّاسة المرهفة ، ولكننى أعتقد أن صداقتنا الطويلة لا تستحق تلك الحساسية المُفْرِطَة .

قال فى سرعة :

ــ حسنًا .. هل يمكننى أن أخبرك إذن ؟

قاطعه صوت الباب وهو يُفتح ، وصوت شاب يهتف فى مرح :

ــ هأنذا .

تلاشى اهتمام (ليلى) بـ (خالد) على الفور ، وارتسمت على وجهها فرحة حقيقية ، وهى تهتف :

ــ (محسن) !

واندفعت إلى حيث يقف هذا الأخير ، وصافحته فى حرارة ، وهى تعاتبه قائلة :

ــ لماذا لم تأتِ مع بداية الإجازة كما وعدت ؟

محسن :

ــ ألم يخبرك (خالد) وأبى أننى ذهبت برفقة بعض الأصدقاء إلى (الإسكندرية) ؟

ليلى :

ــ هل أصبحت (الإسكندرية) تَرُوق لك أكثر من (الإسماعيلية) ؟

محسن :

ــ أنت تعلمين جيِّدًا أنه ما من مكان فى العالم كله ، أحبُّ

إلى نفسى من هذا المكان .. يكفى أننى ألتقى فيه بأميرتى (ليلى) .

ضحكت قائلة :

ـ يالك من مُدَّع منافق !

هتف مستنكرًا :

ـ أنا مُدَّع ومنافق ؟!

ليلى :

ـ نعم .. ولكنك خفيف الظّل .

محسن :

ـ هذه شهادة أعتزُّ بها يا أميرتى .

هتفت (ليلى) مستنكرة ، وهى تنظر إلى (خالد) ، الذى وقف إلى جوار مقعده ، مستعدًا لمصافحة ابن عمه :

ـ أنسيت أن تصافح (خالد) ؟

تقدَّم (محسن) نحو (خالد) ، وهو يقول :

ـ آسف يا (خالد) ، ولكنك تعرف القواعد ، لابدّ من الانحناء للأميرة أوّلًا .

صافحه (خالد) ، وقد ملأ الضّيق قلبه ..

هذا هو الفارق بينه وبين (محسن) ..

(محسن) منطلق فى حديثه ، لايملّ من مداعبة (ليلى) بكلمات الغزل المرحة ، وهى لاتبدى اعتراضًا على

ذلك ، بل يبدو أنها تسعد بسماعها ، وتدفع (محسن) دومًا لقول المزيد منها ..

لقد تصوَّر أن انفراده بـ (ليلى) سيتيح له قول كل مايملأ قلبه لها ، ولكن (محسن) جاء ليفسد كل شىء .

ولكن .. أيمكن أن يكون فى قلب (محسن) أيضًا الكثير لـ (ليلى) ؟..

أيمكن أن تكون عبارات الغزل هذه حقيقية ؟!..

إنه يعرف (محسن) جيِّدًا ، فهو بالفعل شخصية مرحة ظريفة جذَّابة ، ولقد رآه فى الجامعة يغازل ويداعب عشرات الفتيات بالأسلوب نفسه ، دون أن يَعْنى هذا فى نفسه شيئًا ، فهل هذا هو الحال نفسه مع (ليلى) ، أم أنه يخصّها بعاطفة أخرى ؟..

ولماذا قطع إجازته فى (الإسكندرية) ، وهُرِع إليها ؟..

ألَمْ يقْوَ على فراقها ؟!..

وما معنى كل اللهفة على وجه (ليلى) ؟..

لقد احتفظ هو نفسه فى دخيلته بحبِّ (ليلى) طويلًا ، دون أن يفصح عنه حتى لها ، أفمن الممكن أنها و (محسن) يحملان لبعضهما البعض هذا الشعور ؟.

إن (ليلى) لم تستقبله هو بكل هذه اللهفة والسعادة ، اللتين رآهما على وجهها، عندما وصل (محسن) ، كما أنه يتذكَّر ذلك المزيج من الحزن والضيق فى ملامحها ، عندما أخبرها أن (محسن) لن يأتى إلى (الإسماعيلية) ..

أيقظه صوت (محسن) ، وهو يقول :

ـ مالك تبدو شاردًا هكذا يا (خالد) ؟

خالد :

ـ لا شىء .. لا شىء ..

محسن :

ـ مظهرك لا يُوحِى بأنك ترحِّب بقدومى .

خالد :

ـ كيف تقول هذا ؟.. إن وجودك هو ما ينقصنا ، منذ بدأت الإجازة .

تطلَّع (محسن) إلى (ليلى) بنظرة ذات مغزى ، وهو يقول :

ـ أنا أيضًا لم أَقْوَ على الابتعاد عنكما ، ولم يكن لإجازتى طعم بدونكما ، وأعتقد أننى سأحمل هذا الشعور دَوْمًا ، حتى ولو قضيت إجازتى فى (باريس) ..

تضرج وجه (ليلى) بحمرة الخجل ، وأطرقت أرضًا ، وقد أدركت المعنى الواضح فى عبارة (محسن) ، وأن عبارته ، على الرغم من أنها تحمل صيغة الجمع ، كانت تقصدها وحدها ، وقالت محاولة الفرار من شعورها بالحرج :

ـ لقد تأخَّر الوقت .. سأترككما الآن ، ولنلتق فى الصباح .

غمغم (خالد) ، وهو يشعر بالكثير من الغَيْرة والضِّيق :

ـ سأوصلك إلى منزلك .

غمغمت :

ـ لا داعى .. الفيلَّا تبعد بضعة أمتار .

أسرع (محسن) يمسك مرفقها ، قائلًا :

ـ ولكن من الضرورى أن يوصلك أحدنا ، وبالذات فى هذا الوقت المتأخِّر .

قال (خالد) معترضًا فى ضيق :

ـ لقد وصلت من السفر على التوِّ ، ولا ريب أنك مُتعب .

ابتسم (محسن) ، وقال وهو يرمق (ليلى) بنظرة خاصة :

ـ ومن يشعر بالتعب ، فى رفقة أميرة فاتنة ؟

ضحكت (ليلى) ، وهى تقول على نحو مسرحى :

ـ لا بأس ، مادمت تصرّ أيها الفارس .

اصطحبها (محسن) ، وهو يهتف بـ(خالد) :

ـ أعِدّ (الدومينو) وانتظرنى ، فلن أنام مبكّرًا الليلة .

راقبهما (خالد) وهما يغادران المنزل ، وأنفاسه تثقل عليه ، فكثيرًا ماشعر بأن (محسن) صديق مزعج ، خاصة عندما يزاحمه فى الاهتمام بـ(ليلى) ، أما الليلة فقد أدرك أن (محسن) قد صار منافسًا له ..

هذا لو أن له مكانًا فى قلب (ليلى) ..

وليعترف أنها تهتم بـ(محسن) ، وليس به ..

ولكن هل يخبرها بحقيقة مشاعره ؟..

أيقول غدًا ما قاطعه (محسن) الليلة ؟..

أم ينتظر حتى يتبيّن حقيقة مشاعرها نحوه ؟

وراح قلبه ينبض فى ألم ومرارة ..

واختلطت نبضاته بدقات الساعة ..

وبالحَيْرة ..

* * *

٣ ـ صَدْمة قلْب ..

وقفت (ليلى) تجمع بعض الزهور من حديقة منزلها ، فى الصباح التالى ، وسمعت صوتًا يهتف :

ـ ليلى .

التفتت إلى مصدر الصوت ، ورأت (خالد) يدفع بوّابة الڤيلّا المعدنية ، ويدلف إلى الحديقة ، فقالت فى مرح :

ـ ما كل هذا النشاط ؟.. لم أتصوّر أنك ستستيقظ مبكّرًا هكذا !

ـ إننى أستيقظ دومًا مبكّرًا .

ـ لِمَ لا تأتى إلى حديقتنا يوميًا إذن ؟ أنت تعلم أننى أستيقظ مبكّرةً .

ـ لَمْ أشأ إزعاجك .

ـ إزعاجى ؟!.. هل ستعود إلى تلك الرسميّات ؟

ومدّت له يدها بزهرة بنفسج ، مستطردة :

ـ لاريب أن ابن عمك الكسول مايزال نائمًا .

التقط الزّهرة ، وهو يتطلّع إليها فى صمت ، فسألته فى حَيْرة :

ـ أهناك ما يشغل فكرك ؟

غمغم مرتبكًا :

ـ (ليلى) .. أيمكن أن نسير معًا بعض الوقت ؟

ازدادت حَيْرتها ، وهى تقول :

ـ الآن ؟.. ولكن الوقت مبكِّر جدًّا ، لِمَ لا تنتظر حتى نلتقى جميعًا على الشاطئ ، فى موعدنا المعتاد ؟

ـ لأننى أريد أن أتحدَّث إليك الآن .. وحدنا .

ـ هل الأمر بهذه الأهمية ؟

ـ نعم .

ـ حسنًا .. سأخبر والدىّ وأصحبك ، فهناك أمر يخصّنى ، أريد أن أتحدَّث فيه معك ، وأظن هذا الوقت يناسبه أيضًا .

راقبها وهى تدلف إلى الفيلَّا ، وتساءل :

ـ ما الذى ترغب فى التحدُّث إليه فيه ؟.. هل تحمل له بعض المشاعر ؟

إنه يريد حسم الأمر اليوم ، على كل الأحوال ، حتى يعرف حقيقة مشاعرها نحوه ، وينقذ قلبه من الحَيْرة والعذاب ..

وعندما عادت إليه ، وسارت إلى جواره على الشاطئ ، قالت :

ـ حسنًا .. ما الذى تريد قوله لى ؟

غمغم متردِّدًا :

ـ أخبرينى أنت أوَّلًا ما لديك .

صمتت لحظات ، ثم قالت فى خُفُوت :

ـ إنه أمر يتعلَّق بـ (محسن) .

توقَّف عن السير ، وحدَّق فى وجهها مغمغمًا :

ـ (محسن) ؟!

قالت فى خجل :

ـ نعم .. (محسن) .. لقد صارحنى أمس .

هتف :

ـ صارحك بماذا ؟

ازداد تورُّد وجهها خجلًا ، وهى تجيب :

ـ أنت تعلم مدى ثقتى فيك وتقديرى لك يا (خالد) ، فأنت أقرب صديق لى فى هذا العالم ؛ ولهذا سأخبرك بكل شىء .. لقد صارحنى (محسن) أمس بأنه يحبُّنى ، ويرغب فى الزواج منِّى فور حصوله على البكالوريوس هذا العام .

بدت الصدمة القاسية فى ملامحه ، فى حين لاذت هى بالصمت ، حتى سألها هو فى صوت شاحب :

ــ أأنت واثقة من مشاعره هذه ، ومن جدِّيَّة عرضه ؟

ليلى :

ــ لست أدرى .. لهذا أحتاج إلى مشورتك ، فأنت تعرف (محسن) جيدًا ، إنه يبدو دومًا عابثًا لاهيًا ، يتعامل مع كل الأمور فى استخفاف ، ولا يقيم وزنًا للمشاعر ، ولكننى شعرت بصدقه حقًّا أمس .

اعتصر كلماته من شفتيه فى صعوبة ، وهو يقول :

ــ وماذا عنك ؟.. هل تحبِّينه ؟

أطرقت برأسها أرضًا ، وهى تغمغم فى خُفوت :

ــ إننى أكتم هذا الحبّ فى قلبى منذ طفولتنا ، خشية أن يكون (محسن) من ذلك النوع ، الذى لا يقيم للمشاعر وزنًا ، ولقد أخفيت حبى بغلاف من الصداقة ، حتى لا يُصدم برفض (محسن) له ، ولا يمكنك أن تتصوَّر مدى سعادتى ، عندما صارحنى بحبِّه أمس ، وعلى نحو جاد تمامًا ، وإن كنت أجهل لماذا تبدو لى تلك السعادة ناقصة .. ربَّما لخوفى الشديد ..

أشاح بوجهه عنها ، وراح يتطلَّع إلى البحر ، محاولًا إخفاء آلامه وحزنه ، وقال فى صوت يحمل شقاء الدنيا كله :

ــ إذن فأنت تحبِّينه ؟

وتبدَّلت قسماته ، وهو يلتفت إليها بغتة ، مستطردًا فى حِدَّة :

ــ ولكن لماذا ؟.. لماذا لم .....

بتر عبارته فى صعوبة ، وهو يبذل أقصى جهده للسيطرة على مشاعره ، فتطلَّعت إليه هى فى حَيْرة وقلق ، وغمغمت :

ــ ماذا تريد أن تقول ؟

نجح فى السيطرة على مشاعره ، وبدا لها صوته أكثر هُدوءًا وحزنًا ، وهو يقول :

ــ لماذا لم تخبرينى بذلك من قبل ؟.. ألست صديقك الوحيد كما تقولين ؟

تعلَّقت بذراعه ، قائلة :

ــ لا تجعل لديك أدنى شكّ فى هذا ، ولكننى لم أخبرك ، لأننى كنت أجهل حقيقـة مشاعره ، وخشيت أن تدفعك صداقتك له إلى إخباره ، فيتخذ من الأمر مَدْعاة للسخرية منّى ، ولحظتها كنت سأكرهكما معًا ، وأنا أبغض أن يحدث ذلك ، وأفضّل أن يبقى (محسن) إلى جوارى صديقًا ، بدلًا من أن أفقده تمامًا .

حبس دموعه فى صعوبة ، وهو يقول :

ـــ وماذا تريدين منّى الآن ؟
غمغمت :
ـــ أريد رأيك ، الذى أثق فيه كثيرًا .
ابتسم فى مرارة ، قائلًا :
ـــ وما قيمة هذا الرأى الآن ؟.. لقد حُسِمَ الأمر ، فكلاكما يحبُّ الآخر ، وقد تصارحتما ، واتفقتما على الزواج .
هتفت فى دهشة :
ـــ (خالد) .. إنك لم تتحدَّث إلىَّ أبدًا هكذا !!
قال فى ضيق :
ـــ معذرة ، ولكننى أخشى أن تكونا قد تسرَّعتما ، والتسرُّع فى مثل هذه الأمور يلحق بالمرء الكثير من الأذى ، فليس هناك ما هو أقسى من صدمات الحب .
بدت بعض ملامح الخوف فى عينيها ، وهى تقول :
ـــ ولماذا تفترض أن حبنا سيتعرَّض لصدمة ؟
خالد :
ـــ أنت قلت ذلك ، فأنت لا تثقين فى إخلاص ووفاء (محسن) ، وتخشين أن تنطبع عواطفه بشخصيته .
ليلى :
ـــ ليتك تؤكِّد لى أن هذا غير صحيح .

خالد :
ـــ أرأيت ؟.. أنت لا تسعين لمعرفة رأيى ، بقدر ما ترغبين فى سماع عبارة تأييد تطمئنك على سلامة عاطفة ترغبينها ، وتريدين الاستمرار فيها إلى النهاية ، ولكن هذا خطأ ، فالحب الحقيقى لا يحتاج إلى تصديق أو تأييد ، فلو أنك تحبِّين (محسن) حقًّا ، فستخرطين معه فى عاطفتكما حتى النهاية ، مهما بلغت مخاوفك .
ليلى :
ـــ حديثك هذا يزيدنى قلقًا .
خالد :
ـــ الأمر لا يستحق هذا ، فحتى لو لم يكن (محسن) هو الشخص المثالى ، الذى تتمنَّينه ، فأنت تحبِّينه ، وهذا هو المهمّ ، والحبّ وحده قادر على أن يبدِّل الكثير من شخصية المرء ، ولست أعتقد (محسن) بهذا السُّوء الذى تظنِّينه ، فقد يهوَى العبث والاستخفاف بالأمور ، ولكن الأمر يختلف تمامًا ، عندما ينظر إلى أمر ما نظرة جادَّة ، وليس هناك ما هو أجدر بتلك النظرة الجادَّة ، من الحبّ والزَّواج .
ليلى :
ـــ كم يُسعدنى أن هذا رأيك !

خالد :

ـ وكم يُسعدنى أن هذا قد أسعدك !.

قالها وأردف فى سرعة ، قبل أن تغلبه مشاعره :

ـ والآن هل نعود ؟

سألته فى حَيْرة :

ـ وماذا عنك ؟.. إنك لم تخبرنى بالأمر الذى أردت أن تحدِّثنى به !

أطلق من أعماقه زفرة قصيرة ، وقال :

ـ لم يَعُدْ هناك من داعٍ له .

سألته فى حَيْرة :

ـ ماذا تَعْنِى ؟.

شرد بصره نحو هدف وهمى ، وهو يقول :

ـ أعْنِى أنه يتعلَّق بما أخبرتنى أنت به ، فلقد شعرت أن (محسن) يحمل لك عاطفة قويَّة ، وأردت أن أخبرك بهذا بحكم صداقتنا .

سألته فى لهفة :

هل صارحك بشىء ؟

أجابها فى مرارة :

ـ لا.. إنه مجرَّد شعور .

لم ينطق أحدهما بكلمة واحدة بعدها ، وسارا متجاورين فى صمت ، وإن شعرت (ليلى) فى أعماقها أن (خالد) لم يكن صادقًا معها ..

وأنه يخفى أمرًا ما ..

أمرًا يتعلَّق بها ..

* * *



٤ ــ رسالة غير متوقعة...

« لِمَ لَمْ تخبرنى ؟.. »..

نطقها (خالد) فى مرارة ، فالتفت إليه ابن عمه (محسن) ، وقال فى هدوء :

ــ أخبرك بماذا ؟

قال فى ضيق :

ــ بأنك تحبّ (ليلى) ، وتنوى الزواج بها .

ابتسم (محسن) ، وقال :

ــ هل أخبرتك هى ؟

خالد :

ــ قُلْ لى : هل تحبها حقًّا ؟.. أعنى هل أنت جادٌّ فى هذا الشأن ؟

محسن :

ــ وهل تحتمل مثل تلك الأمور الهزل ؟

خالد :

ــ لقد رأيتك تهزل كثيرًا فى أمور شبيهة ، وآخرها قصتك مع (مديحة) فى الكلية .. هل نسيتها ؟.. لقد أوقعت المسكينة

فى حبّك بكلماتك المعسولة وعواطفك المصطنعة ، ثم نبذتها وتخلّيت عنها ، وحطّمت قلبها بلا شفقة ، حتى أنها حوّلت أوراقها إلى كلية أخرى .

محسن :

ــ ولماذا تذكر هذا الآن ؟.. لقد أخبرتك من قبل أننى لَمْ أعِدْ (مديحة) بشيء وليس ذنبى أنها قد أساءت تفسير مجاملاتى لها ، وتصوّرتها نوعًا من الحبّ .

خالد :

ــ أنت تدرك مدى كذبك ، وأنت تردّد هذه القصة ، فالكلية كلها تعلم أن الحبّ هو لُعبتك المفضّلة .

هتف (محسن) :

ــ (خالد) .. لست أسمح لك .

قاطعه (خالد) فى غضب :

ــ بل أنا الذى أرفض السماح لك بتكرار تلك اللُّعبة القذرة مع (ليلى) بالذات .

صاح (محسن) :

ــ لا يا (خالد) .. (ليلى) بالنسبة لى تختلف ، فهى صديقة طفولة ، ولو أردت العبث بعواطفها لفعلت منذ زمن ،

ولكنى أشعر دوْمًا بأنها أقرب إنسانة إلى قلبى ، وإن كنت أجهل ما إذا كان ذلك حبًّا ، أم أنه نوع من الصداقة القويَّة ، والروابط المتينة ، التى تجمع بيننا وبين أسرتينا !.. ولقد خشيت طويلًا أن أكشف لها عن حقيقة مشاعرى ، خوفًا من ذلك ، فـ(ليلى) ليست الفتاة التى يعبث أى مخلوق بعواطفها .. إنها تختلف كثيرًا عن الأُخريات ، ولقد تأكَّدت من حقيقة شعورى نحوها ، عندما سافرت مع أصدقائى إلى (الإسكندرية) .. لقد شعرت بالضِّيق والاكتئاب والوحدة بين الأصدقاء ، وشعرت بدافع قوى يجذبنى إلى هنا ، وعلمت عندئذ أننى أحبُّها ، وقرَّرت أن أبوح لها بهذا الحب .

أطرق (خالد) برأسه ، وهو يغمغم :

ــ إذن فأنت واثق من حبِّك لها .

هتف (محسن) فى حرارة :

تمام الثقة ، وأظنها تبادلنى هذا الحبّ .

خالد :

ــ وهل أنت جادٌّ فى أمر زواجك منها ؟

محسن :

ــ بالطبع .. سأعلن خِطبتى لها فور حصولى على شهادة البكالوريوس هذا العام .

خالد :

ــ وهل أخبرت عمِّى بذلك ؟

محسن :

ــ سأخبره ، ولكن بعد حصولى على البكالوريوس ، فليس من المستساغ أن أذهب إليه ، وأنا طالب جامعى ، وأخبره برغبتى فى الزواج ، ومازلت أتقاضى مصروفى منه .

تطلَّع إليه (خالد) فى ارتياب ، ولكن (محسن) فتح ذراعيه له ، قائلًا بابتسامة :

ــ (خالد) .. أنت ابن عمِّى ، وصديقى ، وصديق (ليلى) منذ الطفولة .. أريد أن أرى نظرة السعادة فى عينيك لأجلنا .. لا نظرات الشَّكّ والرِّيبة ، فأنت الوحيد الذى تعلم حبَّنا الآن ، وأريد منك أن تكون أوَّل من يهنِّئنا .

اغْرَوْرَقَتْ عينا (خالد) بالدموع ، واحتضنه فى حرارة ، قائلًا :

ــ أرجو لكما سعادة دائمة .

ثم أضاف فى انفعال :

ــ ويمكنك اعتبار هذه تهنئة مؤقتة ، والتهنئة الحقيقية يوم خِطبتكما .

محسن :

ـ أشكرك يا بن عمّى العزيز .

خالد :

ـ ولكن تذكّر ما قلته لك .. لن أسمح لك بتحطيم قلبها أبدًا .

ضحك (محسن) ، وهو يقول :

ـ اطمئن .. ستبقى (ليلى) فى قلبى وعينى دَوْمًا .. والآن اسمح لى ، فسأذهب للقائها وحدى ، فلدىَّ الكثير لأخبرها به .

قالها وأسرع يغادر الڤيلّا فى لهفة ، وهو يلوّح بذراعيه ، و (خالد) يراقبه بقلب يعتصره الألم ، قبل أن يلصق جبهته بالحائط ، ويغمض عينيه مردِّدًا :

ـ وداعًا لكل شىء .. وداعًا يا أحلامى ، ويا حبِّى الذى لم يَرَ النور .. وداعًا .

* * *

غادر (خالد) فراشه ، فى ذلك القطر العربى ، وقد أعجزته ذكرياته عن النوم ، وانتابه شعور بالاختناق ، ففتح النافذة ، وراح يتطلّع منها إلى الصحراء الممتدَّة أمامه بلا نهاية ، وعادت به ذكرياته مرَّة أخرى إلى الشهور الأولى من تخرُّجه ،

عندما ذهب ليتسلَّم عمله فى واحدة من شركات البترول ، ويبدأ حياته العملية ..

كان المفروض أن يكون هذا من أسعد أيام حياته .. لولا ما حدث ..

لقد استقبله أحد أصدقائه ، عند مدخل منزله ، قائلًا :

ـ (خالد) .. أتسمح لى ؟

صافحه (خالد) فى حرارة :

ـ أهلًا بك يا (ممدوح) .. تفضَّل .

ممدوح :

ـ شكرًا ، ولكننى على عجلة من أمرى ، ولقد أتيت لأسلِّمك رسالة هامة ، قبل سفرى إلى (الإسكندرية) غدًا .

سأله (خالد) فى دهشة :

ـ أيَّة رسالة ؟

ممدوح :

ـ رسالة من (محسن) ، أعطانى إيَّاها قبل سفره ، وأوصانى بضرورة تسليمها لك .

هتف (خالد) ، وقد تضاعفت دهشته :

ـ ماذا تقول ؟.. هل سافر (محسن) ؟

ــ ممدوح :

ــ عجبًا !!.. ألا تعلم أنه قد سافر فجر اليوم إلى (ألمانيا) ؟

هتف (خالد) :

ــ لماذا ؟.. ما الذى سيفعله هناك ؟

ممدوح :

ــ لقد كان يراسل فتاة ألمانية منذ أيام الدراسة ، ويبدو أنها قد ساعدته على الحصول على عمل جيِّد ، فى واحدة من شركات الكيماويات الألمانية ، ولقد أرسلت إليه منذ أسبوعين ، وطلبت منه السفر على الفور ، وتسلُّم عمله هناك .. عجبًا !!.. كيف لَمْ يخبرك بذلك ؟.. على أيَّة حال ، لا شكَّ أنه قد شرح لك كل شىء فى خطابه هذا .

أخذ (خالد) الخطاب ، وأسرع يصعد إلى منزله ، حيث فضَّه فى لهفة ، وراح يقرأ :

ــ « عزيزى (خالد) :

قد يبدو لك الأمر مفاجئًا ، ولكنك ستقدِّر ، موقفى حتمًا ، فلقد أردت الاحتفاظ بالأمر سرًّا ؛ لأننى أعلم أن الكثيرين سيعترضون على أمر سفرى إلى (ألمانيا) ، ولَمْ أكن

لأضيع تلك الفرصة أبدًا ، فهى فرصة عمرى ، والمرء لا يلتقى بفرصة عمره مرَّتين .. لقد كنت أراسل إحدى الألمانيات منذ عدة سنوات ، حتى توطَّدت علاقتنا ، وهذه الفتاة ابنة واحد من كبار رجال الصناعة فى (ألمانيا) ، وهو يمتلك عدة شركات ، من بينها شركة للكيماويات تناسب تخصُّصى ، وقدَّمت لى الفتاة عرضًا للعمل فى هذه الشركة ، وقبلته على الفور ، وقرَّرت السفر إلى (ألمانيا) ، وأخبرت والدى قبل السفر بساعة واحدة ، ولكننى لم أستطع إخبار (ليلى) ، فأنت تعلم صعوبة شرح شىء كهذا ، وإقناعها به ، مع استعدادها الدائم لإساءة الظَّن بى ؛ لذا فقد رأيت أن أترك الأمر لك ، لتتولَّاه نيابة عنِّى .. ينبغى أن تقنعها بأن سفرى المفاجئ ليس له من هدف ، سوى تأمين مستقبلنا ، وأن حُبَّها سيبقى دومًا فى قلبى ، ولن تُنقص منه الأيام أو المسافات ، أما بالنسبة للزواج والاستقرار ، فسأرسل إليها قريبًا ، بعد أن تستقر الأمور فى (ألمانيا) ، كما سأرسل لك عنوانى قريبًا ، لتظل على اتصال بى ..

وداعًا .. وأدعو لك بالتوفيق »..

(محسن)

طوى (خالد) الخطاب ، وألقاه فى عنف وغضب ، وهو يهتف :

ـ الوغد .. لقد تخلَّى عنها .. تخلَّى عن (ليلى) .. وبكى قلبه من أجلها ..

* * *



٥ ـ من أجلك ..

ارتجفت أصابع (ليلى) ، وشحُب وجهها ، واكتسى بحزن عميق ، وهى تطالع خطاب (محسن) ، ولكنها حاولت أن تخفى ذلك ، وهى تغمغم :

ـ من الصعب أن يترك مثل هذه الفرصة .. أليس كذلك ؟

خالد :

ـ كان الجميع يعلمون أنه سيتقدَّم لِخطبتك خلال أيام ، فكيف لَمْ يقدِّر هذا عند سفره ؟ ولماذا اختار هذا التوقيت بالذات للسفر ؟.. كان عليه أن يخبرك على الأقل ، ويُعِدّك لاستقبال أمر كهذا ، بدلًا من أن يكتفى برسالة من بضعة أسطر ، يتركها بعد رحيله .

ليلى :

ـ لقد ذكر فى رسالته أنه خشى أن نؤثّر على قراره بالسفر .

خالد :

ـ بل خشى أن يتحمَّل مسئولية ارتضاها لنفسه .

هتفت محتجَّة :

ـ (خالد) .. ماذا تقول ؟

خالد :

ـ أقول الحقيقة .. صحيح أن (محسن) ابن عمّى ، ولكننى أعرفه جيدًا .. هو أنانى ، متقلّب العاطفة .. لقد لاحظت بنفسى تطوُّر علاقتكما فى الآونة السابقة .. أنت بنفسك أخبرتنى عن فُتور عاطفته نحوك ، وتباعد مرات لقائه بك ، على الرغم مما كان يبديه سابقًا من لهفة واشتياق إليك .. وأنت نفسك لاحظت أنه يماطل فى أمر الخطبة ، برغم وعده بالاقتران بك ، وبرغم موافقة عمّى وترحيبه بالأمر .. كل هذا جعلنى أشكُّ فى مشاعره نحوك ، وجدّيّة ارتباطه بك .

ارتسم الفزع على ملامحها ، وهى تهتف :

ـ لا يا (خالد) .. لا تقل ذلك .. أنت لا تعرف كم أحب (محسن) !! وكم بنيت من آمال على هذا الحبّ !!

صار صوته حنونًا مشفقًا ، وهو يقول :

ـ ليته يدرك هذا ، ويدرك قيمة هذا الحبّ ، ويعرف كيف يحافظ عليه .

قالت فى صوت مرتعش ، وكأنما تحاول أن تطمئن نفسها :

ـ ولكنه سيعود .. سيعود أو يرتّب الأمر على أى نحو ؛ ليتم ارتباطنا .

قال فى مرارة :

ـ ليتك على حق ، وليته يخيّب ظُنونى ، فما أحبَّ إلىَّ أن أراكِ سعيدة !!

وقد تحقّقت كل أحلامك .

ارتجفت يداه عندما احتضنتها بكفّيها ، وهى تقول :

ـ أنت الصديق الوحيد الذى أثق به ، وأشعر بالأمان فى وجوده يا (خالد) ..

حاول أن تظلّ قريبًا منّى فى الفترة القادمة ، فهناك خوف يعترينى .

جذب يده من يدها ، حتى لا تشعر بارتجافته ، وهو يقول :

ـ ستجديننى قريبًا منك دومًا يا (ليلى) ، وطوع بَنانك وتأكّدى أنه لا محلَّ لخوفك ما دمت بالقرب منك .

قالت (ليلى) فى امتنان :

ـ أشكرك يا (خالد) .. أشكرك كثيرًا ..

ولم يطلب أكثر من ذلك ..

* * *

بعد شهرين كاملين من هذا الحدث ، توجّه (خالد) إلى منزل عمّه ، متسائلًا :

ــ ماذا حدث ياعمّى ؟.. لقد أخبرونى أنك تطلب حضورى على الفور .

أجابه عمُّه فى صوت يحمل مزيجًا من الغضب والحزن :

ــ أخيرًا وبعد شهرين كاملين ، انقطعت خلالهما أخباره ، أرسل ابن عمك هذه الرسالة ، ويا ليته ما فعل ، فلست أدرى كيف أسأت تربيته ، ليصنع بى كل هذا ؟.. ألَمْ يكْفِهِ أن فاجأنى بأمر سفره قبل ساعة واحدة منه ؟ وأنه سافر دون موافقتى ؟.. ألم يَكْفِهِ أنه لم يهتم طِيلة شهرين كاملين بإرسال رسالة واحدة يطمئننى فيها على أخباره ؟.. ألم يَكْفِهِ قلقى ومعاناتى من أجله ؟.. إنه يرسل رسالة مستهترة ، يقول فيها إنه سيستقر فى (ألمانيا) وسيتزوّج من ألمانية .. هكذا بكل بساطة واستهتار ، ودون حتى عنوان للمراسلة ، متجاهلًا (ليلى) المسكينة ، التى تركها فى حكم خطيبته ، ودون أن يفكّر فيها لحظة واحدة ، كيف ينسى يوم وافقت على زواجه منها ، فقفز صارخًا من شدة فرحه ؟.. كيف ينسانا جميعًا بهذه السهولة ؟

تقلّصت ملامح (خالد) فى غضب هادر ، وهو يقول :

ــ هذا هو (محسن) .

ولم يكد الخبر يبلغ (ليلى) ، حتى أطلقت صرخة مختنقة ، وترنحت وهى تهتف :

ــ مستحيل !!.. مستحيل !!.. قل إنه خبر كاذب .

أجابها (خالد) فى إشفاق :

ــ لا يا (ليلى) .. إنه خبر صحيح .. أليس هذا هو (محسن) ، الذى حذَّرتك منه ؟ أليس هو من ارتبطت به ، وأنت ترتابين فى صدق مشاعره ؟.. ألم أقُل لك إنه أنانى مستهتر ، لا يفكّر إلا فى ذاته وحدها ؟

انحدرت الدموع من عينيها ، وهى تقول :

ــ ظننت أنه قد تغيّر .. تصوَّرت أن حُبَّه لى سيهزم كل نقائصه .

قال وكأنه يؤنّبها :

ــ لقد حاولت إيهام نفسك بذلك ، على الرغم من أن تصرُّفاته معك فى الشهور الأخيرة كانت تؤكّد العكس .

قالت فى انكسار :

ــ ولكننى أحبُّه .

اندفعت الكلمات من بين شفتيه غاضبة ، وهو يهتف :

ــ بعد كل هذا ؟!.. بعد أن تخلّى عنك ، وتنكّر لوعده معك ؟!

قالت باكية :

— أعلم أنه لا يستحق مجرَّد التفكير ، ولكن حبِّى له أقوى من عقلى .

صمت (خالد) قليلًا ، وتحوَّل غضبه إلى نوع من الشفقة ، وهو يقول :

— لو أننى أملك ما أفعله من أجلك ما تردَّدت لحظة ، ولكن .....

قاطعته فى خجل :

— ألا يمكنك أن ترسل له أى خطاب ؟.. أعنى هل يمكنك الاتصال به ؟ و.....

هتف فى حِدَّة :

— أتقبلين أن .....

قاطعته فى ضراعة :

— أعلم أن هذا يتعارض مع الكرامة ، ولكن .....

قاطعها :

— حسنًا .. لقد فعلت .. توصَّلت إلى عنوانه فى (ألمانيا) ، على الرغم من أنه يتعمَّد إخفاءه عن الجميع ، وأرسلت إليه خطابين ، علَّه يتراجع عن فعلته ، وحاولت أن أذكِّره بعهده لك ، وأخاطب ضميره ، ولكنه أجابنى بخطاب من

سطر واحد ، يقول : « الزمن يتغيَّر ، ومن المحتَّم أن نتغيَّر معه » ، فهل ترجين شيئًا من شخص كهذا ؟

حاولت أن تبدو متماسكة ، وهى تجلس فى بطء ، قائلة :

— أنت محق فيما تقول .. لم يَعُدْ هناك ما يُرجَى من شخص مثله .

ولكن دموعها غلبتها ، على الرغم من محاولتها التحكُّم فى مشاعرها ، فانحدرت فوق وجنتيها دون أن تقوى على كبحها ، وخفق قلب (خالد) لرؤية دموعها ، فجثا على ركبتيه إلى جوار مقعدها ، ومسح دموعها بأصابعه ، قائلًا :

— لا تبكى يا (ليلى) .. أرجوك .. لقد خشيت من رؤيتك الخطاب هذا .

هبَّت واقفة ، واندفعت تغادر الحجرة ؛ لتذرف دموعها وحدها ، وتابعها هو بعينين ملؤهما الحبّ والحنان ، وهو يقول فى أسًى :

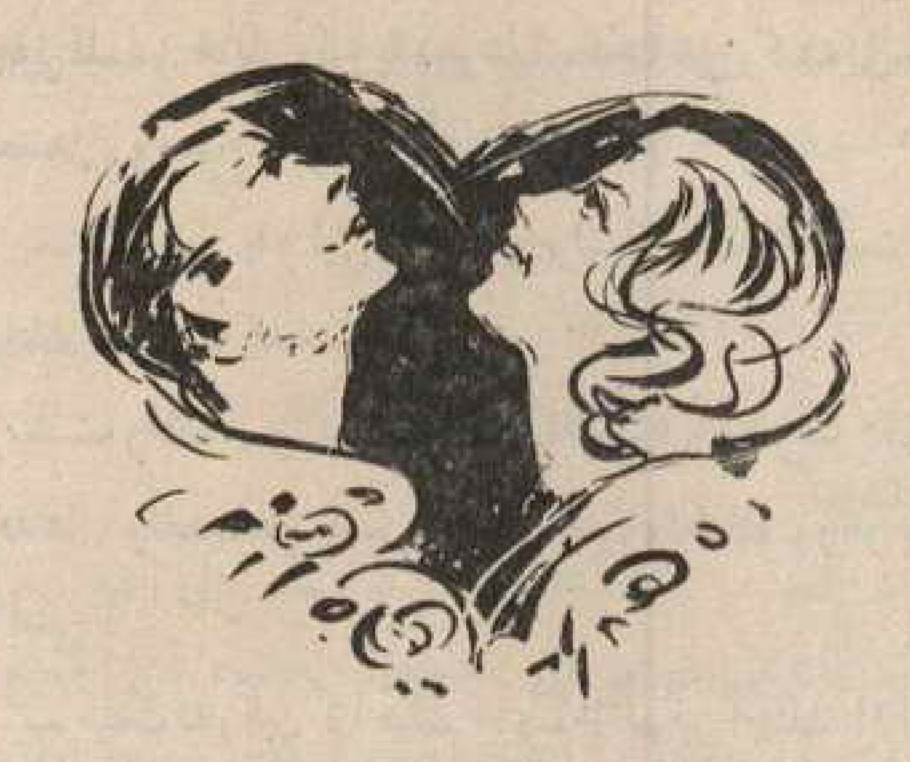
— ليتك تدركين كم أحبّك !! وكم أتألَّم من أجلك !! لا يهمّ أن تدركى مشاعرى أو تجهليها .. المهم أننى لا أطيق رؤيتك تتألمين .

وتطلَّع إلى صورتها المعلقة على الحائط ، وزفر فى قوّة ، مستطردًا :

ـ وسأفعل أى شىء من أجلك .. أى شىء ..

وكان صادقًا ..

* * *



٦ ـ ثمن الحب ..

عقدت الجدَّة ذراعيها أمام صدرها ، وصرخت فى (ليلى) بشدة :

ـ ما زلت تفكِّرين فيه .. أليس كذلك ؟

أشاحت (ليلى) بوجهها عنها ، مغمغمة :

ـ لا .. ليس هذا صحيحًا .. ما الذى دفعك إلى هذا القول ؟

قالت الجدَّة ، وعيناها تحملان مزيجًا من العطف والشفقة :

ـ أتخدعيننى أم تخدعين نفسك ؟.. صدِّقينى يا بنيَّتى .. صحيح أن (محسن) حفيدى ، ولكنه لا يستحق حبّك ، فهو أنانى مستهتر ، لا يقيم وزنًا لعاطفة أو عهد ، وبضع كلمات معسُولة ، ووعد فى أمسية جميلة ، لا يكفيان لزواج ناجح .

ارتعشت الكلمات ، وهى تخرج من بين شفتى (ليلى) :

ـ ولكننى .....

قاطعتها الجَدَّة :

ـ تحبِّينه .. أعرف ذلك .. لقد مررنا جميعًا بتجربة الحبّ

الأوّل ، وهى تترك حقًا أثرًا قويًا فى النفس ، ولكنها غالبًا ما تكون بعيدة عن الحبّ الناضج الحقيقى .. ولو أردت رأيى ، لقلت لك إن (خالد) أصلح لك من (محسن) ، فهو شخص ناضج ، يسبق عمره بسنوات ، كما أنه مخلص لمشاعره ومبادئه ، وسعيدة حقًا من ترتبط به .

تطلّعت (ليلى) إلى الجَدَّة فى دهشة هزمت حزنها ، وكأنها تكشف أمرًا خفِىَ عنها طويلًا :

ـ (خالد) ؟!.. ولكنه بالنسبة لى دومًا مجرَّد أخ عزيز وصديق مخلص !!

قالت الجدَّة فى هدوء :

ـ ولكنه يحبُّك .

اتسعت عيناها دهشة ، وهى تهتف :

ـ يحبُّنى أنا ؟

ـ نعم .. إننى أرى حبّه لك واضحًا فى عينيه منذ صباكما ، وهو حبٌّ كبير مخلص .

ـ ولكنه لم يصرِّح لى بشىء كهذا أبدًا !

ـ ربما لأنه علم أنك لاتبادلينه مشاعره ، فاحتفظ بها لنفسه .

ـ هل أخبرك بذلك ؟

ـ لا بالطبع ، ولكن خبرتى بالحياة وبه جعلتنى أدرك ذلك .. إن (خالد) صاف حتى أن مشاعره تطلّ من عينيه دومًا .

غمغمت (ليلى) فى حزن :

ـ مسكين (خالد) .. كنت أجرح مشاعره دوْمًا بالحديث عن حبى لـ (محسن) ، دون أن أدرك أنه يحبُّنى .. كم أشعر بالذنب تجاهه ، ولكن الأمر ليس بيدى .

ربَّتت الجَدَّة على شعرها ، قائلة :

ـ أعلم يا بنيّتى .. أعلم أن القلوب والمشاعر لاتخضع لحكم المنطق أو العقل ، ولكن الصداقة والثقة اللتين تربطان بينك وبين (خالد) .. أليستا دليلًا على وجود تقارب قوىّ بينكما ؟.. أليس من الممكن أن يتحوّل ذلك الارتباط إلى نوع آخر ؟

ليلى :

ـ ولكن يا جدَّتى ، ما بينى وبين (خالد) ..

قاطعتها الجَدَّة :

ـ ولِمَ لاتحاولين يا بنيّتى ؟ حاولى ولن تندمى ، ومَنْ يدرى ؟ ربما كان فى ذلك شفاؤك من حبّ (محسن) .. من يدرى ؟!

* * *

غادر (خالد) مطار العاصمة الألمانية (بون) ، واستقلَّ واحدة من سيَّارات الأجرة ، وهو يدفع إلى السائق قصاصة ورق تحمل اسم وعنوان (محسن) ، وترك السيَّارة تنطلق ، حتى توقَّفت أمام منزل منفرد ، فغادرها (خالد) ، واتجه إلى ذلك المنزل ، وطرق بابه فى هدوء ، وانتظر حتى فُتِحَ الباب ، وأطلَّت منه سيِّدة متوسطة العمر ، سألها فى احترام :

ــ عفوًا يا سيدتى .. أتتحدَّثين الإنجليزية ؟

ــ نعم .

ــ إننى أبحث عن السيِّد (محسن) .

ــ إنه يقيم هنا ، وأنا مدبِّرة منزله .

ــ حسنًا .. هل يمكننى أن أقابله ؟

ــ إنه الآن فى عمله ، فى شركة الكيماويات .

ــ أيمكننى أن أنتظره ؟.. إننى ابن عمِّه .

ــ لست أظن ذلك ، فهو سيتناول العشاء الليلة مع خطيبته (أولجا) .

ــ حسنًا .. أيمكنك منحى عنوان الشركة ؟

منحته العنوان ، فانطلق بسيَّارة أخرى من سيارات الأجرة إلى الشركة ، وهناك اجتاز ممرًا رخاميًا أنيقًا ، وراح يتطلَّع إلى

الأبواب المغلقة ، المصنوعة من شجر الصنوبر ، وكل منها يحمل لوحة اختصاص بالألمانية ، مما منحه شعورًا بالتيهِ ، إلى أن لمح رجلًا يغادر إحدى الحجرات ، فأسرع إليه قائلًا :

ــ من فضلك ، أين أجد الهِرّ (محسن خيرى) ؟

أشار إليه الرجل نحو باب زجاجى فى نهاية الممرّ ، فشكره (خالد) ، واتجه إلى الباب ، وطرقه فى هدوء ، قبل أن يفتحه ويتقدَّم إلى الداخل ، فتطلَّعت إليه فتاة تجلس خلف مكتب دائري يتوسَّط الحجرة ، وعيناها تحملان نظرة تساؤل ، فقال :

ــ قيل لى إنه يمكننى مقابلة الهِرّ (محسن) هنا .

أجابته فى برود :

ــ إنه مشغول الآن .

أجابها بنفس البرود :

ــ أخبريه أننى أرغب فى مقابلته لأمر هام ، وأبلغيه أننى ابن عمِّه (خالد) .

تطلَّعت إليه برهة فى تردُّد ، ثم نهضت وطرقت بابًا جانبيًا ، ودلفت عَبْرَه فى سرعة ، وأغلقته خلفها ، ثم لم تلبث أن عادت بعد لحظات ، ووجهها يحمل ابتسامة ترحيب كبيرة ، ودعته إلى الدخول ، واستقبله (محسن) فى الداخل ، هاتفًا :

— يالها من مفاجأة سارَّة !.. ابن عمِّى العزيز هنا فى بون !

صافحه (خالد) فى هدوء ، وهو يدير عينيه فى الحجرة البالغة الأناقة ، وتطلَّع إلى الفتاة الشقراء الفاتنة ، التى تجلس على المقعد المواجه لمكتب (محسن) ، وقال :

— كان من الضرورىّ أن أحضر بنفسى لزيارتك ، وأنقِّب عن عنوانك ، مادمت تضنّ علينا بالخطابات .

قال (محسن) :

— أنت لا تدرك مدى صعوبة العمل هنا ، فالمرء ينهمك هنا فى العمل كالآلة ، حتى لا يجد وقتًا للمراسلات .

ألقى (خالد) نظرة أخرى على الحجرة الفاخرة ، وهو يغمغم :

— نعم .. إننى أدرك صعوبة عملك هنا .

تأبّط (محسن) ذراعه ، وقاده نحو مكتبه ، قائلًا :

— تعالَ لتتعرَّف (أولجا) ، خطيبتى الحالية ، وزوجتى المقبلة .

صافحها (خالد) وهى تبتسم ابتسامة خلّابة ، وهتف (محسن) :

— ألست معى فى أنها فاتنة ؟

قال (خالد) متهكمًا :

— بالتأكيد .. وكَوْنها ابنة صاحب العمل يزيدها فتنة .. أليس كذلك ؟

تجاهل (محسن) سُخريته ، وهو يقول :

— تفضَّل يا (خالد) .. تفضَّل .

وتبادل بضع كلمات ألمانية مع (أولجا) ، نهضت على أثرها ، وألقت التحية على (خالد) ، ثم غادرت الحجرة ، فقال (محسن) مبتسمًا :

— لقد طلبت منها الانصراف لنتحدَّث معًا .

ولكننى أعلم أنكما ستتناولان طعام العشاء معًا .

— نعم .. إنها ستسبقنى إلى المطعم .

— هذا يَعْنى أن وقت الحديث بيننا محدود .

— مازال أمامنا الكثير من الوقت ، فستنزل فى ضيافتى طوال إقامتك هنا .

— اسمع يا (محسن) ، سأغادر (بون) غدًا ، ولدىَّ موضوع واحد ، أحبُّ أن أتحدَّث فيه معك ، وأظنك تعرفه جيِّدًا .

— قُلْ لى أوَّلًا .. هل زرت منزلى ، قبل حضورك إلى الشركة ؟

ـ نعم .

ـ ما رأيك فيه ؟

تطلَّع إليه (خالد) فى دهشة واستنكار ، وقال :

ـ أتظنُّنى قطعت كل هذه المسافة لأبدى إعجابى بمنزلك ؟

ولكن (محسن) كرَّر سؤاله فى هدوء :

ـ ما رأيك فيه حقًّا ؟

تذرَّع (خالد) بالصبر ، وهو يقول :

ـ إنه منزل جميل .

هتف (محسن) :

ـ بل قُلْ رائع .. إنه يليق بمدير شركة كبرى ، وكذلك سيارتى (المرسيدس) .. إنها من أحدث طراز .. هل رأيتها ؟

هتف (خالد) فى غضب :

ـ أتحاول استعراض ثرائك ؟

ابتسم (محسن) ، وهو يقول :

ـ بل أحاول تنبيهك إلى حقيقة التحوُّل الذى حدث لى هنا .. لقد تغيَّرت أمور كثيرة ، ولَمْ أعُدْ (محسن) الذى تعرفه ، العابث المستهتر ، المستخف بكل شىء .. لقد صرت رجلًا مرموقًا ذا مكانة ، ولدىَّ أشياء كثيرة أتمسَّك بها ،

وأحافظ عليها .. منزل رائع ، وظيفة مرموقة ، حساب البنك ، زوجة ثرية جميلة .. أتطلب منّى التنازل عن كل هذا لقاء بعض الرومانسيات السخيفة ، ووعد قطعته على نفسى فى لحظة طيش وانفعال ؟.. أليس هذا ما أتيت تطالبنى به ؟

قال (خالد) :

ـ هل أصبح حبُّك لـ (ليلى) مجرَّد رومانسيات سخيفة ، ووعد طائش أحمق ؟ أتذكر حديثنا معًا فى (الإسماعيلية) ، أم تحبّ أن أذكِّرك به ؟.. لقد قلت ليلتها إن (ليلى) ليست الفتاة التى يعبث مخلوق بعواطفها ، وإنك واثق تمام الثقة من مشاعرك نحوها ، ومن رغبتك فى الزواج منها .. لقد عاهدتنى على هذا .

محسن :

ـ لم أكن كاذبًا آنذاك .. كان هذا هو شعورى نحوها ، ولكنه تغيَّر ، كما تتغيَّر أشياء كثيرة فى الحياة .

حملت عينا (خالد) نظرة ازدراء ، وهو يقول :

ـ وما الذى غيَّرها ؟.. حساب بالبنك وسيارة فاخرة ؟ ما أرخص ثمن تبديل مشاعرك !!

محسن :

ـ لست أرغب أو أستطيع أن أكُون مثاليًا مثلك ، فأنت

تحمل روح فرسان القرون الوسطى ، أما أنا فأُحبّ هذا العصر ، وأقدِّر منافعه كثيرًا ، فالثمن الضئيل الذى تتحدَّث عنه يكفينى لأبدِّل جنسيتى كلها ، وليس أحاسيسى فقط .

خالد :

ـــ لا فائدة إذن .

محسن :

ـــ لقد حسمت الأمر فى خطابى الأخير .

قال (خالد) مستعطفًا :

ـــ أتعلم كم سبَّب خطابك الأخير لـ (ليلى) من آلام لها ؟.. إنها تحبُّك فى شدة ، ولن تتوقَّف عن حبِّك أبدًا .

ـــ إننى أشعر بالأسف من أجلها ، ولم أكن أتمنَّى أن يحدث هذا ، ولكن صدِّقنى الأيام كفيلة بمداواة جروحها ، وستنسانى مع مرور الوقت ، وتجد من يناسبها أكثر منِّى .

ـــ مهما كان رأيك فى مبادئ ، فأنا أعتقد أنك الشخص الذى يستحق الأسف لا هى ، فأنت غير جدير بفتاة مثلها .

ـــ لا داعى لهذا الأسلوب المسرحى الدرامى ، فـ (ليلى) ليست سوى فتاة عرفناها طفلة وصبيَّة ، وقضينا معها أوقاتًا سعيدة من اللهو والمرح ، خلال العطلات الصيفية ، وربما

جعلنى هذا التقارب أشعر بشىء من العاطفة نحوها ، وهذه الأمور تحدث وتنتهى ، وسترى بنفسك أنها لن تلبث أن تبحث عن شاب آخر ، وتعمل على إيقاعه فى شباكها ، بعد أن تنزع عن وجهها قناع العذاب والألم ، الذى خدعتك به ، لتدفعك إلى السفر ، ومحاولة إقناعى بالعودة إليها .. لقد استغلَّتك ، وابتزَّت مثالياتك ، و ......

قاطعته لكمة قويَّة ، طرحته أرضًا ، وسمع (خالد) يهتف فى غضب :

ـــ ستظل أبدًا عابثًا مستهترًا أنانيًّا جشعًا وقحًا .. كم يؤسفنى أنك ابن عمِّى !! إننى لم أتصوَّر أبدًا أن هذا هو رأيك فى (ليلى) ، فهى ليست مِنْ ناصبِى الشبَّاك ، ولا مِنْ مستغلِّى الآخرين .. وأنت تعلم جيِّدًا من ينطبق عليهم هذا الوصف .

واندفع خارجًا ، وأغلق الباب خلفه فى عنف ..

* * *

٧ ــ عيون جديدة ..

كان يهمّ بركوب سيّارته ، بعد أن غادر مقرّ عمله ، عندما سمع صوتها يناديه ، فاستدار إليها ، ورآها تسرع إليه ، قائلة :

ــ إننى أنتظرك منذ بضع دقائق .

خالد :

ــ ولِمَ لَمْ تصعدى ؟

ليلى :

ــ لم أجد داعيًا لذلك ، فلقد كنت أعلم أن موعد انصرافك سيحين بعد قليل .

ــ وما الذى جاء بك من (الإسماعيلية) ؟

ــ ألا تعلم ؟.. لقد التحقت بعمل فى واحدة من الشركات الاستثمارية بالقاهرة .

ــ متى حدث هذا ؟

ــ منذ يومين ، وأنا أقيم حاليًا مع عمّتى فى (مصر الجديدة) ..

ــ إنها أنباء طيّبة .

ــ عل[illegible]يح لنا هذا أن نلتقى كثيرًا ، ولن يقتصر الأمر على العطلات .

ارتبك وهو يغمغم :

ــ نعم .. نعم .. بالطبع .

قالت وقد لاحظت ارتباكه :

ــ ألَنْ تدعُونى لركوب سيّارتك ؟

هتف :

ــ بلا شكّ .. هيّا .. سأوصلك إلى منزل عمتك .

وضعت يدها فوق يده ، قائلة :

ــ (خالد) .. ما رأيك لو ذهبنا إلى مكان نتحدّث فيه قليلًا ؟

ازداد ارتباكه فى شدة ..

إنها أوّل مرّة تطلب منه (ليلى) الذهاب إلى أحد الأماكن العامة ، خارج (الإسماعيلية) ، وراح يتساءل عما ترغب فى التحدُّث إليه فيه ، وهل ستجرح مشاعره مرّة أخرى بحديثها عن (محسن) ؟..

وانطلق بها بسيّارته ، وهو يشعر بالاضطراب والقلق .. والحَيْرَة ..

* * *

سألها بعد أن انتهيا من تناول الطعام ، فى أحد المطاعم المطلَّة على النيل :

ـ ماذا تشربين ؟

قالت بلا اهتمام :

ـ أى شىء .

طلب لنفسه قدحًا من القهوة ، ولها كوبًا من العصير ، ثم أسند ذَقَنه إلى قبضته ، وهو يتطلَّع إليها منتظرًا حديثها ، وحدَّقت هى بدوْرِها فى وجهه ، وكأنها تكشف أشياء خَفِيَتْ عنها طويلًا ، وقالت :

ـ (خالد) .. هل سافرت إلى (ألمانيا) حقًّا منذ أيام ؟

أطرق برأسه ، وكأنما كان يخشى هذا السؤال ، وأجاب :

ـ نعم .

ـ أذهبت لمقابلة (محسن) ؟

ـ نعم .

ـ لماذا ؟

رفع عينيه إليها ، مغمغمًا :

ـ ماذا تعْنين ؟.. إنه ابن عمِّى وصديقى ، ومن الطبيعى أن أذهب إليه خلال رحلة سياحية .

ـ كُفَّ عن هذا ، فالرحلة السياحية لا تستغرق يومًا واحدًا ، فلماذا تتجشَّم كل هذا الجهد والنفقات ؛ لتلتقى بـ(محسن) ليوم واحد ؟

ـ أهو تحقيق ؟

ـ يمكنك اعتباره كذلك .

ـ حسنًا .. لقد شعرت بمدى قلق عمِّى على (محسن) ، فسافرت إليه ، و .....

قاطعته :

ـ هل نسيت أننى أعرفك منذ طفولتك ، وأنه لن يمكنك أن تكذب علىَّ مهما حاولت ؟

قال مصطنعًا الغضب :

ـ ماذا تعْنين ؟

ـ أعْنِى أنك قد سافرت إلى (ألمانيا) خصِّيصًا من أجلى .

ـ غير صحيح .

ـ بل صحيح .. إنك لم تحتمل رؤيتى أتألَّم أمامك ، عندما تقابلنا فى المرَّة الأخيرة فى (الإسماعيلية) ، فسافرت إلى (ألمانيا) فى محاولة لإثناء (محسن) عن قراره بالزواج من الألمانية .. لقد فعلت هذا من أجلى ، تجشَّمت مشقة السفر ،

وحمَّلت مشاعرك ما يفُوق طاقتها حتى لا تراني أتألم .. فعلتها لأنك شخص نبيل .. كيف لم أشعر بكل هذا النُّبل من قبل ؟.. حتى عندما رفض (محسن) مطلبك ، لم تحاول جرح مشاعري برفضه ، بل أخفيت عنِّي الأمر كله .

تظاهر بالاستخفاف ، قائلًا :

ــ إنك تجعلين منِّي بطلًا بلا مبرِّر ، فأنا لم أفعل هذا ، و (محسن) ليس الشخص الذي نسعى إليه ونستعطفه ، وثِقِي بأنه لن يلبث أن يدرك خسارته لفقدك ، ويأتيك زاحفًا ، و .....

قاطعته :

ــ ولكنك لَمْ تفكِّر فيما إذا كنت أستحقه أم لا ، بل أردت فقط أن تمحُو عنِّي هذا العذاب لهجره ، وفعلت هذا على الرغم من أنك تحبُّني منذ سنوات ، دون أن تصارحني بهذا .

هتف في ارتياع :

ــ (ليلى) .. ماذا تقولين ؟

ليلى :

ــ لا تحاول إخفاء الحقيقة عنِّي مرَّة أخرى .. لقد أخبرتني جَدَّتك بكل شيء ، وأدركت كم كنت حمقاء ؛ لأنني لم أدرك ذلك منذ زمن طويل .. لماذا لم تَبُحْ لي بمشاعرك ؟.. لماذا ؟

أطلق زفرة قصيرة ، وهو يتطلع إلى إناء الزُّهور أمامه ، مغمغمًا :

ــ وهل كان هذا سيغيِّر من الأمر شيئًا ؟.. الحبُّ إحساس ، ينبغي أن يصل إليك دون قول ، ولكنك جعلتني أقف عند حدود الصداقة والثقة فحسب ، في حين كان إعجابك بـ(محسن) طاغيًا ، حتى في ذلك اليوم الذي استجمعت فيه شجاعتي ، وقرَّرت أن أصارحك بحبِّي ، أخبرتني أنت فيه بأنه هو صارَحَكِ بحبِّه ، وبأنكما قد تعاهدتما على الزواج ، ولم يكن أمامي ــ حينذاك ــ سوى دفن مشاعري في قلبي إلى الأبد .

انحدرت دمعة من عينيها ، وهي تشيح بوجهها مغمغمة :

ــ يا لي من حمقاء !.. يا لي من جاحدة !

لا تلومي نفسك ، فنحن لا نملك مشاعرنا .

ــ كيف تحمل لي كل هذا الحب ، دون أن أدرك ذلك ؟

ــ لأن قلبك لم يكن يرى سوى (محسن) .

ــ وعلى الرغم من ذلك تسعى خلفه ، وتحاول إقناعه بإعادتي إليه ؟

ــ ما هو الحب إذن ، لو لم يكن كذلك ؟

ــ إنك تحيِّرني حقًّا يا (خالد) .

ـ لو قِسْت ذلك بمعيار الحبّ لذهبتْ حَيْرتك ، فهناك فارق رهيب بين الأنانية والحبّ .

ـ إنه تفسير مثالى أكثر من اللازم ، ولكنه يناسب شخصيتك النبيلة .

ـ ألا ترين أن الوقت قد حان لعودتك إلى منزلك ؟ أخشى أن تقلق عمتك .

ـ هل يمكننى أن أراك غدًا ؟

ـ إذا أردت أنت ذلك .

قدّمت له بطاقة صغيرة ، وهى تقول :

ـ هذا عنوان الشركة التى أعمل بها ، وأنا أنتهى من عملى فى الرابعة مساءً .

ابتسم مغمغمًا :

ـ سأكون هناك فى هذا الموعد بالتحديد .

وقال وهو يقود سيّارته :

من العجيب أنك لم تسألينى عن (محسن) ، وعمّا أسفرت عنه مقابلتنا فى (ألمانيا) !!.. كنت أظنك متشوّقة لمعرفة ذلك .

قالت بلا مبالاة :

ـ لَمْ تَعُد أخباره تهمُّنى .

ـ أهو رد فعل تحكمه كرامتك وكبرياؤك ؟

ـ أتصدّقنى لو أخبرتك أننى لم أعُدْ أهتم به حقًّا ؟

ـ نعم .. ولكننى ما زلت أبحث عن تفسير .

ـ ربما كان هناك جزء يخصّ كبريائى وكرامتى ، ولكن الفضل الأوّل يرجع إليك أنت .

كان قد بلغ منزل عمتها ، ولكن نطقها للعبارة الأخيرة جعله يوقف السيّارة بحركة حادّة ، ويلتفت إليها هاتفًا :

ـ أنا ؟!

ابتسمت قائلة :

ـ نعم .. إننى أراك الآن بعيون جديدة يا (خالد) .

وأسرعت تغادر السيّارة ، قبل أن يفيق من وقع العبارة ، وهى تلوّح له بكفّها ، هاتفة :

ـ لا تنسَ موعدنا غدًا .

وهتف قلبه :

ـ مستحيل !!.. مستحيل أن أنسى موعدًا معك !!

* * *

٨ ـــ اعتراف بالحب ..

لم تكد تراه ، حتى اتجهت إلى سيّارته ، وشفتاها ترسمان ابتسامة صافية ، وهى تقول :

ـــ خشيت ألا تحضر .

فتح لها باب السيّارة ، قائلًا :

ـــ وهل تأخرت عن موعدك أبدًا ؟

جلست على المقعد المجاور له ، وتطلّعت إليه ، قائلة :

ـــ أبدًا ، ولكن هذا الموعد يختلف ـــ بالنسبة لى ـــ عن مواعيدنا فى (الإسماعيلية) .

ـــ لست أفهم .

ـــ ستفهم كل شىء ، عندما نجلس معًا فى ذلك (الكازينو) ، المُطِلّ على النيل .

ظلَّ صامتًا حتى بلغا المكان ، وهناك جذب مقعدًا حول مائدة مُطِلَّة على النيل ، ودعاها للجلوس ، ثم اتجه إلى الناحية المقابلة ، ليتخذ لنفسه مقعدًا ، ولكنها أمسكت يده قائلة :

ـــ تعالَ اجلس هنا .. إلى جوارى .

تطلَّع إليها برهة فى حَيْرة ، ثم أطاعها قائلًا فى حرج :

ـــ أخشى أن يظنُّونا حبيبين .

قالت :

ـــ ولماذا تخشى ؟.. ألا يمكن أن نكون كذلك بالفعل ؟

ازدادت حَيْرته ، وهو يتطلَّع إليها ، قائلًا :

ـــ ما هذا الكلام يا (ليلى) ؟.. ماذا أصابك ؟.. إنك تتحدَّثين على نحو لم أعْتَدْهُ منك قَطُّ !

قالت محاولة دفع كلماتها إلى قلبه :

ـــ أصابنى سهم الحبّ .

ارتبك وهو يقول :

ـــ (ليلى) .. حاولى أن تنسى حبّك لـ(محسن) ، فهو .....

قاطعته ، وهى تلمس يده بأناملها :

ـــ ومن تحدَّث عنه ؟.. لقد انتهى (محسن) من حياتى إلى الأبد .. إننى أتحدَّث عنك أنت .. إننى أحبُّك يا (خالد) .

جذب يده بعيدًا عنها ، وهو يهتف :

ـــ لا يا (ليلى) .. إننى أرفض هذا .

هتفت مذهولة :

ـــ ترفض حُبى ؟!
قال :
ـــ كم تمنيت أن أسمع هذه الكلمة من بين شفتيك يا (ليلى) ، ولكن ليس فى مثل هذه الظروف ، أنت لست مَدينة لى بشىء .
قالت فى مزيج من القلق والحَيْرة :
ـــ ماذا تعْنى ؟.. أيّة ظروف ؟.. وأى دين ؟
هتف :
ـــ إن ما تشعرين به نحوى ليس حبًا حقيقيًا .. لقد كشفت فجأة أننى أحبُك منذ زمن ، وأننى أطوى هذا الحبّ فى قلبى ، وصبغت علىَّ عددًا من الصفات النبيلة ، تحت تأثير كشفك المفاجئ ، وتأثرك بسفرى إلى (ألمانيا) ومحاولتى إعادة العلاقات بينك وبين (محسن) ؛ لذا يدفعك شعورك بالذنب نحوى ، أو شعورك بالواجب ، أو كلاهما إلى منحى حبًا لا يجد مكانًا حقيقيًا فى قلبك ، وأنا أرفض هذا ..
ـــ (خالد) .. لم يخطر هذا ببالى قطُّ .
ـــ ولكنه الحقيقة ..
ـــ الحقيقة هى أننى أحبك .. ربما لم أكشف هذا إلّا قريبًا ، ولكنها الحقيقة .. من تلك التى لا تحبُ رجلًا له كل صفاتك ؟.

ـــ لقد كان ذلك الرجل أمامك ، منذ كان طفلًا ، فلماذا برز حبّه فى قلبك الآن ؟
أتخدعيننى أم تخدعين نفسك ؟
قالت ، وعيناها تحملان نظرة رجاء :
ـــ (خالد) .. أخبرتك أننى أراك الآن بعيون جديدة ، وليتك ترانى كذلك بِدَوْرك .. ليتك تنسَى (ليلى) صديقتك ، التى حبست عنها عواطفك ، عندما كانت عمياء ، تهب قلبها لمن لا يستحق ، وترى (ليلى) التى تحبّك ، ولَمْ ولن تحبّ سواك .
قال متوتّرًا :
ـــ (ليلى) .. تذكَّرى أننى لا أطالبك بشىء ، ويمكننى أن أحيا عمرى كله محتفظًا بحبّك فى قلبى دون مقابل ، ولكننى لا أحتمل أن تحدثينى عن مشاعر لا وجود لها فى قلبك ، ولا تثقين بصحتها .
قالت ، وهى تهزُّ رأسها فى يأس :
ـــ لست أدرى كيف أقنعك بصدقها ؟
ـــ هل اختبرت مشاعرك جيدًا ؟
ـــ لم تكن تحتاج إلى اختبار ، فأنا أحبُك .. ألا تعِى ذلك ؟

انفرجت أساريره ، وتناول كفَّها فى راحتيه ، قائلًا فى سعادة :

ــ هذا أسعد يوم فى حياتى يا (ليلى) .. لقد حَلُمت به دوْمًا ، دون أن آمل تحوُّله إلى حقيقة ، والآن صارت الحقيقة لى حُلمًا .. حُلمًا جميلًا .

سألته فى لهفة .

ــ (خالد) .. أتحبُّنى حقًّا ؟

ابتسم فى حنان ، وهو يقول :

ــ ياله من سؤال !

وبدأت قصة حُبِّهما ..

* * *

كانت الأيام التالية هى أسعد أيام حياة (خالد) ، فلقد بدَّل الحبُّ بينه وبين (ليلى) تلك الحياة تمامًا ، وأضفى عليها بهجة وانتعاشًا لم يعرفهما من قبل ..

وذات ليلة شعر بجسدها يرتجف إلى جواره ، وهما يتأملان نجوم سماء صافية ، فخلع سترته ، وأحاط بها كتفيها ، وتأمَّلته فى حبٍّ ، هامسة :

ــ كم أنت حَنُون !!

ابتسم قائلًا :

ــ وكم أنت جميلة !!

ألقت رأسها على كتفه ، وهى تردِّد فى خُفُوت :

ــ أشكرك يا (خالد) .

سألها وهو يداعب خُصلات شعرها الناعم :

ــ على ماذا ؟

أجابته فى هيام :

ــ على كل الأشياء الجميلة ، التى بعثتها فى نفسى .. لقد أعدت إلىَّ الثقة ، وجعلتنى أنظر إلى الحياة نظرة مختلفة ، وأومن بالحبِّ مرَّة أخرى .

أحاطها بساعده ، وهو يُحكم سترته حول كتفيها ، وقال :

ــ (ليلى) .. هل توافقيننى على أن شهرًا كاملًا يعدُّ فترة كافية لاختبار المشاعر ؟

رفعت رأسها عن كتفه ، وتطلَّعت إليه فى حَيْرة ، مغمغمة :

ــ ماذا تعْنِى ؟.. لست أفهم !

أجابها :

ــ أعْنِى أنه ، وقد مرَّ شهر كامل على تصارحنا بالحبِّ ، وتعدَّدت فيه لقاءاتنا ، ووثق كل منَّا من حقيقة مشاعره نحو

الآخر ، ألا ينبغى أن ننتقل إلى الخطوة التالية ؟.. أعْنى أن نصبغ حبّنا بصبغة شرعية ، وأن أطلب منك تحديد موعد مع والدك ؛ لأعلنه برغبتى فى الزواج من ابنته .

كست الفرحة وجهها ، وكادت تهتف فى سعادة ، لولا أن غلبتها مشاعر الأنثى ، فتداركت نفسها ، وغمغمت فى دلال :

ـ حسنًا .. امنحنى فرصة للتفكير ، فقد لا أوافق .

ابتسم قائلًا :

ـ فى هذه الحالة لن أجد بُدًا من اللُّجوء إلى الوسيلة الأخرى .

ـ أيَّة وسيلة ؟

ـ سأختطفك وأجبرك على الزواج منّى .

أطلقت ضحكة مرحة ، وهى تقول :

ـ حسنًا أيها القرصان ، أتعلم ماذا سأقول لك عندئذ ؟

ـ ماذا ؟

ـ سأخبرك بأنك قرصان أحمق ؛ لأنه من العبث أن تخطفنى ، وعيناى تحملان استسلامًا كاملًا لك ، ولحبّك .

أطلق ضحكة قصيرة ، واستعدَّ لإدارة محرّك سيَّارته ، وهو يتطلَّع إلى وجهها ، ثم لم يلبث وجهه أن اكتسَى بالجدّيَّة ، وهو يقول :

ـ (ليلى) .. سأسافر بعد غد إلى (الإسماعيلية) ؛ لطلب يدك من والدك ، وسأحاول أن أجعل خِطبتنا قصيرة ، فأنا متلهّف على أن تصبحى زوجتى .

أغمضت عينيها ، وتنهَّدت قائلة فى سعادة :

ـ ليس أكثر منّى يا (خالد) .

وانطلق بالسيَّارة ..

وبقلبه ..



٩ ـــ لقاء متوتِّر ..

كان حفل الخِطبة بـ (الإسماعيلية) عائليًا بسيطًا ، ولكنه كان كالجنة بالنسبة لـ (خالد) ، فبه أصبحت (ليلى) تنتمى إليه رسميًا أمام الجميع ، ولقد ظلت جدَّته تراقبه وخطيبته ، وابتسامة عريضة تملأ وجهها ، فقد تحقَّقت أمنيتها ، واقترن (خالد) بـ (ليلى) ، وهى موقنة بأن كليهما قادر على إسعاد الآخر ..

وكانت (ليلى) تسأل (خالد) :

ـــ قل لى : ألَمْ تعرف أخريات قبلى ؟

ابتسم قائلًا :

ـــ بالطبع .. كانت لى صديقات وزميلات أيام الدراسة .

هتفت فى دلال :

ـــ لست أعنى هذا .

أجابها :

ـــ أعرف ما تعنين ، ولن أدَّعِىَ أننى مثالى ؛ كما تصرّين أنت ، ولكن الفرصة لم تتح لى أبدًا ؛ لأفكّر فى فتاة على هذا

النحو ، فحبّك يملأ قلبى منذ طفولتنا ، ويحُول بينى وبين منح الحبّ لأيّة فتاة أخرى سواك .

تطلَّعت إليه قائلة :

ـــ كلماتك هذه تُشعرنى بالذنب ، فلقد تركتك تتعذَّب بحُبِّى سنوات .

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

ـــ لم يَعُدْ هناك مجال لهذا الآن ، لقد انتهى العذاب ، وبدأت السعادة .

قالت فى دَلال :

ـــ هل ستحبنى دَوْمًا هكذا ؟

هتف من أعمق أعماق قلبه :

ـــ إلى الأبد ..

* * *

التفَّ الجميع حول (ليلى) يهنّئونها بعيد ميلادها ، وهى تتطلّع من حين إلى آخر إلى باب الفيلّا ، فى انتظار حضور والدها ، ولم تكد تلمحه حتى هُرِعَت إليه ، هاتفة فى عتاب :

ـــ ألا تشارك ابنتك عيد ميلادها يا دكتور (فؤاد) ؟.. أتتركها حتى فى مثل هذا اليوم ؟

ابتسم فى حنان ، وهو يقول :

ــ وماذا أفعل يا بنيّتى ؟.. إنها حالة عاجلة ، ولا يمكننى ألا ألبّىَ نداء الواجب .

قالت فى دَلال :

ــ أعلم ذلك ، وهذا ما يجعلنى أصفح عنك .. المهم أنك قد وصلت قبل أن نطفئ الشُموع .

قال فى حنان :

ــ كان من الممكن ألا أصل فى الوقت المناسب ، لولا خطيبك (خالد) ، فلقد تعطَّلت سيَّارتى فى الطريق ، ولحق بى هو ، وأنقذنى من هذا الموقف الحرج .

هتفت :

ــ وأنا التى كنت أتساءل أين ذهب ؟.. لقد تسلَّل من الحفل إذن ؛ ليعمل على إحضارك إليه فى الوقت المناسب .. أين هو إذن ؟

ــ إنه قادم فى أثرى ، فهو يتفق مع صاحب سيَّارة طوارئ ، لإحضار سيَّارتى المعطَّلة فى الطريق .

ــ أرأيت كم هو حنون يا أبى ؟.. إنه لم يحتمل رؤية الضّيق فى ملامحى ، لعدم وجودك فى عيد ميلادى ، فانطلق خلفك ؛

لتأتى معه قبيل إطفاء الشموع ، وحتى لا يحرمنى سعادتى بقُربك .

ــ إنه الزوج الذى تمنَّيْته لك دَوْمًا يا (ليلى) .

راعه ذلك الشُحُوب المفاجئ الذى اعتراها ، وأدهشة تراجعها بهذه الحدَّة ، وهى تحدِّق فى نقطة ما خلف ظهره ، فالتفت إلى حيث تنظر ، ورأى آخر من يتوقَّع رؤيته .

(محسن) ..

وكان (محسن) يتقدَّم نحوهما ، ويمدّ يده إلى (ليلى) بلفافة أنيقة ، قائلًا :

ــ كل عام وأنت بخير يا (ليلى) .

ازدردت لُعابها ، وهى تتطلَّع إليه فى جمود ، دون أن تمدَّ يدها لتناول اللَّفافة ، وبدا الموقف محرجًا للغاية ، لولا أن سارع الأب بمصافحته ، قائلًا .

ــ أهلًا يا (محسن) .. حمدًا لله على سلامتك .. متى عُدْت ؟

ــ أمس فقط ، ولمَّا كنت أعلم أن اليوم هو عيد ميلاد (ليلى) ، فلم يكن لى أن أتخلَّف عن حضوره .

غمغم الدكتور (فؤاد) :

ــ تفضَّل يا بُنىّ ، على الرُّحب والسَّعة .

ولكن (ليلى) اعترضت قائلة :

ــ لست أظن حضوره مناسبًا .

قال (محسن) فى برود :

ــ يمكننى أن أنصرف ، لو أن وجودى يضايقك .

ولكن الأب هتف :

ــ (ليلى) .. ليس من اللائق أن توجِّهى مثل هذه الكلمات لضيوفك .

قالت فى إباء :

ــ ولكنه ليس ضيفى .

نهرها قائلًا :

ــ لاتنسَىْ أنه منزلى ، ولن يُصَدِّعَنّه أحد .

وفجأة ، ارتفع صوت (خالد) من خلف (محسن) ، يقول :

ــ ولا تنسَىْ أيضًا أنه ابن عمِّى .

نقَّلت (ليلى) بصرها بين أبيها و (خالد) فى توتُّر ، ثم لم تلبث أن أوْلَتهُم ظهرها ، واتجهت إلى الداخل فى غضب ، فى حين قال (خالد) :

ــ تفضَّل يا (محسن) .

وتناول الأب منه لفافته ، قائلًا :

ــ شكرًا لهديتك .

انتحى (خالد) بابن عمِّه جانبًا ، وهو يسأله فى جدِّيَّة :

ــ والآن ، هل تخبرنى بالسبب الذى جعلك تأتى إلى هنا ؟

قال (محسن) ، وهو يبتسم فى برود :

ــ ما هذا يا (خالد) ؟.. أمن المستغرب أن آتى فى مناسبة كهذه ؟.. أنسيت أننا عشنا طفولتنا متنقِّلين بين هذه الڤيلَّا ، وڤيلَّا جَدَّتنا ؟

أجابه (خالد) فى حزم :

ــ حديثك معى فى (ألمانيا) قال : إنك قد قطعت كل الصِّلة بماضيك ، فلماذا هذا الحنين المفاجئ لطفولتنا ، وما سرّ عودتك من (ألمانيا) مع كل ارتباطاتك هناك ؟

قال (محسن) معترضًا :

ــ وهل من المعقول أن ينفصل المرء عن ماضيه ؟.. ليس ذنبى أنك قد أخطأت فهم حديثى ، فلقد كنت أتحدَّث عن تأمين مستقبلى ، والاستفادة إلى أقصى حدّ من فرصة سانحة هناك ، ولكننى لم أقُل إننى قد تخلَّيت عن ماضىَّ وذكرياتى أبدًا ، وخاصَّة تلك الذكريات السعيدة هنا .

قال عبارته الأخيرة ، وهو يرمق (ليلى) بنظرة ذات مغزى من بعيد ، فاحتدّ صوت (خالد) ، وهو يقول :

ـــ أنسيت العبارة التى قُلتها فى مكتبك ؟.. لقد قُلت : إن المنزل الرائع ، والسّيارة الفاخرة ، والمنصب المرموق كلها تعدُّ ثمنًا كافيًا لتبذُل كل سنوات عمرك .

محسن :

ـــ مجرّد عبارة قُلتها محاولًا إقناعك يابن عمّى العزيز بأنه ما من مبرّر للتنكُّر لكل قيم الحياة المادّيّة ، ولكننى أعترف بأنها لم تكن عبارة صادقة تمامًا ، فهناك أشياء أخرى لها قيمتها ، ولايمكن إنكارها .

خالد :

ـــ ولكنك لم تجب سؤالى عن سرّ عودتك المفاجئة .

أجابه (محسن) فى هدوء :

ـــ جئت لمنح بعض توكيلات شركتى فى (مصر) ، ومن حُسن طالعى أن وصلت قبل يوم واحد من عيد ميلاد (ليلى) ، فانتهزت الفرصة لأحضر إلى (الإسماعيلية) ، وأهنّئها به .

أشار إليهما الدكتور (فؤاد) فى هذه اللحظة ، قائلًا :

ـــ ألن تشاركا فى تقطيع كعكة عيد الميلاد ؟

ابتسم (محسن) ، قائلًا :

ـــ بالطبع ياعمّاه .. هيّا يا (خالد) نشارك (ليلى) العزيزة فرحتها .

وتحرّك نحو مائدة الحفل ، ولكن (خالد) أمسك ساعده يستوقفه ، قائلًا :

ـــ مهلًا .. لعلك عرفت أن (ليلى) الآن خطيبتى

ابتسم (محسن) فى استخفاف ، وقال :

ـــ آه !! معذرة .. نسيت أن أهنئكما .. مبارك .

تابع (خالد) وكأنه لم يسمعه :

ـــ وهذا يعْنى أنّ مسئوليتى نحوها قد تضاعفت ، فلقد سمحت لك بالبقاء فى حفل عيد ميلادها ، لأنك ابن عمّى ، ورحّب بك والدها الطيّب مراعاة لأصول الضيافة ، على الرغم من نذالتك السابقة مع ابنته ، ولكن لو أن حضورك اليوم يُخفى أيّة نوايا غير طيّبة ، فثِق أننى سأتصدّى لك بمنتهى الشدة ، دون أى اعتبار لصداقة أو قرابة .

لم يتخلَّ (محسن) عن هدوئه ، وهو يقول :

ـــ لشدّ ما يحزننى أن تسىء الظن بى على هذا النحو يابن عمّى .. ثق أننى أتمنّى لكما كل السعادة من قلبى ، والآن هيّا

بنا ، فمن الضرورى أن تكون إلى جوار خطيبتك الآن .

أُطفئت الشموع ، وراحت (ليلى) تقطع كعكة الحفل ، وتوزِّعها فى أطباق صغيرة على ضيوفها وقال (خالد) وهو يشاركها عملها :

ـــ أأنت غاضبة منِّى ؟

قالت دون أن تلتفت إليه :

ـــ ما كان لك أن تدعوه لمشاركتنا حفل عيد ميلادى .

قال فى هدوء :

ـــ إنه ابن عمِّى ، وصديق طفولتنا ، ثم إنه لا يصح أن تطردى شخصًا جاء لتهنئتك بعيد مولدك .

انفعلت قائلة :

ـــ أما زلت تعتبره صديقًا ؟.. أنسيت موقفه الحقير معى ، ومقابلته الوقحة لك فى (ألمانيا) ؟

قال فى بساطة :

ـــ وهل تريدين أن نصبح مثله ؟.. لقد انتهت مشاعرك نحوه .. أليس كذلك ؟

هزَّت كتفيها ، قائلة فى عصبيَّة :

ـــ بالطبع .

خالد :

ـــ لِمَ لا تعاملينه إذن كصديق تربطنا به ذكريات مشتركة ، ما دام قد جاء إلينا بهذه الصفة ؟

ليلى :

ـــ ولكنه .....

قاطعها :

ـــ ولكن الواجب أن يلقى كل ترحيب كضيف .

ثم همس مستطردًا :

ـــ حتى يدرك على الأقل أننا أفضل منه ، وأننا لا نحمل له فى قلوبنا ضغينة .. والآن قدِّمى له قطعة من الكعكة .

تطلَّعت إليه برهة فى اعتراض ، ثم لم تلبث أن أطاعته ، وقطعت قطعة من الكعكة ، ووضعتها فى طبق صغير ، ومدَّت يدها المرتجفة بها إلى (محسن) ، الذى تناول الطبق منها ، وهو يبتسم ابتسامة تكشف عن قسمات وجهه الوسيم ، قائلًا :

ـــ شكرًا يا (ليلى) ، تصوَّرت أنك قد نسيتنى .

لم تنبس ببنتِ شفَة ، وإنما أدارت له ظهرها ، ولكنه استوقفها بصوت هامس ، دفع فيه أكبر قدر من جاذبيته :

ـــ (ليلى) ..

التفتت إليه ، وهى ترفع رأسها فى كبرياء ، فقال ونظرة حزن تطلّ من عينيه :

ـ نسيت أن أهنئك على خطبتك لـ (خالد) ، وأرجو أن تكونى سعيدة معه .

قالت وصوتها يحمل ما يشفّ عن توتُّرها :

ـ أشكرك .. إننى كذلك بالفعل .

وأولته ظهرها ، دون أن تتيح له فرصة المزيد من الحديث ، ولكن خطواتها السريعة ، وهى تعود إلى المائدة ، أبرزت ما حاولت أن تخفيه من اضطراب ..

ومن حَيْرة ..



١٠ ـ إحساس خَفِىّ ..

انتهت (ليلى) من عملها بالشركة ، ووقفت تودّع صديقتها عند المدخل الخارجىّ ، ثم اتجهت لتوقف واحدة من سيارات الأجرة ، عندما وجدته يعترض طريقها بغتة ، قائلًا :

ـ مساء الخير يا (ليلى) .

سَرَت فى جسدها رعدة خفيفة ، تشفّ عن اضطرابها لظهوره المباغت ، وحاولت إخفاءها بقناع من الغضب ، وهى تقول فى انفعال :

ـ كيف تجرؤ على الحضور هنا ؟

ابتسم (محسن) ، قائلًا فى هدوء :

ـ كان لا بُدَّ أن أتحدَّث إليك ، ما دمت رفضت منحى هذا الشرف ، فى حفل عيد ميلادك .

قالت وقد تضاعف انفعالها :

ـ لم يَعُد بيننا حديث ، ومن فضلك لا تأت إلى هنا مرّة أخرى .

قال محافظًا على هدوئه :

— أعرف سرّ غضبك منّى ، وأرجوك أن تمنحينى فرصة للشرح .

هتفت :

— ليس هناك ما يحتاج إلى الشرح ، فلم يَعُد شىء ممَّا يخصُّك يهمُّنى ، أما سبب غضبى فهو أنك قد سمحت لنفسك بالحضور إلى هنا ومقابلتى ، وأنا خطيبة ابن عمك .

محسن :

— ولكننا أصدقاء منذ الطفولة .. أليس كذلك ؟

ليلى :

— كنّا أصدقاء .

محسن :

— بل كنّا أكثر من ذلك ، فما الذى بدَّلك على هذا النحو ؟

ارتفع حاجباها فى دهشة واستنكار ، وهى تقول :

— كيف أمكنك أن تُلقى هذا السؤال ، وأنت تعلم إجابته جيّدًا ؟!

محسن :

— لست أعرف سوى شىء واحد ، وهو أننا كنّا متحابَّيْن ، وكان المفروض أن تكونى خطيبتى أنا لا هو .

ازداد ضيقها من حديثه ، وهى تقول :

— كيف تسمح لنفسك بقول هذا ؟.. ماذا لو كنت على موعد مع (خالد) الآن ، وحضر ليراك تتحدَّث معى هكذا ؟

محسن :

— ولماذا سمح هو لنفسه بأخذك منّى ؟

ابتسمت فى سخرية ، مردِّدة :

— يأخذنى منك ؟!.. لقد تخلَّيت عنّى فى لحظة غدر ، وسافرت إلى الخارج سعيًا وراء أطماعك المادِّيَّة الرخيصة ، دون حتى كلمة وداع واحدة ، ثم أرسلت خطابًا من عدة أسطر ، تبلغنا فيه أنك ستتزوَّج من ألمانية ، وأن الزمن يتغيَّر ، ولا بدَّ لك أن تتغيَّر معه .. وسافر إليك (خالد) هذا ، الذى تتَّهمه بأخذى منك ، وحاول إقناعك بالعودة إلىَّ ، على الرغم من أنه يحمل لى فى قلبه حبًّا كبيرًا ، أخفاه لسنوات طِوال ؛ لأنه يرى مدى تعلُّقى بك ، واعتقد أن سعادتى ستكون معك .. سافر إليك ؛ لأنه لم يحتمل رؤيتى أتألَّم ، بعد موقفك الغادر منّى .. أسمعت أبدًا عن حبٍّ كهذا ؟.. أرأيت رجلًا له مثل هذا القلب الكبير ؟.. أتقول بعد هذا إنه أخذنى منك ؟.. إننى نادمة على شىء واحد يا (محسن) ، وهو أنه لم يفعل ذلك منذ زمن طويل ، فابن عمِّك رجل تتمنّاه أيَّة فتاة .

محسن :

ــ لست أجادل فى أنه يحوز صفات عظيمة ، ولكننى واثق من أنك لا تحبين سواى .

احتقن وجهها غضبًا ، وهى تهتف :

ــ كيف تجرؤ ......؟

قاطعها فى إصرار :

ــ هذه هى الحقيقة .. إنك تحبيننى ولن تحبى غيرى .. لقد رأيت ذلك فى عينيك ، خلال حفل عيد ميلادك ، على الرغم من كل مظاهر الرفض والغضب والانفعال ، فمشاعرنا نحو الآخرين لا ترتبط بصفاتهم المثالية أو النبيلة ، فقد تدفعنا هذه الصفات لاحترامهم ، لا لحبهم ، ومن الخطإ أن يتحوَّل الحب إلى التزام ، بل الحب الحقيقى هو الذى يختار من نحبّ ، بكل عيوبهم ، وأن نغفر لهم الأخطاء والخطايا ، وألَّا نتخلَّى عنهم أبدًا .

ازداد غضبها ، وهى تقول :

ــ كُفّ عن هذا الحديث ، وإلَّا .....

قاطعها :

ــ لن أفعل . فأنا أحبُك وأنت تحبيننى ، ولن يغيِّر تقديرك

الكبير لـ (خالد) من هذه الحقيقة ، ومن الظلم أن توافقى على الارتباط به وأنت لا تحملين له الحبّ فى قلبك .

اهتزَّ جسدها من شدة الانفعال ، وهى تهتف :

ــ يا لك من مغرور وقح !.. لقد صوَّر لك غرورك أنه لا يمكننى أن أحبَّ سواك .. لتعلم إذن أننى أنا دفعت (خالد) للارتباط بى ، عندما زالت الغشاوة عن عينىَّ ، وأننى تمنَّيت أن أصبح زوجة له .

لم يأبه لقولها ، وإنما ثبَّت نظراته على وجهها ، وعلى عينيها ، قائلًا :

ــ انظرى إلى عينىَّ ، فقد عهدتك عاجزة عن الكذب ، وأنت تنظرين إليهما ، وأخبرينى هل تحبِّين (خالد) حقًّا ؟

تطلَّعت إليه قائلة :

ــ حسنًا .. إننى .. إننى .....

أحرجها ارتباكها وتلعثمها ، فأشاحت بوجهها بعيدًا ، وهى تهمّ بالانصراف ، قائلة :

ــ لست أدرى ما الذى يدعونى إلى مجادلتك فى أمر كهذا ؟.. كان من الخطإ أن أسمح لك بهذا الحديث منذ البداية .

قبض على ساعدها فى شدَّة ، وهو يقول :

— أرأيت كيف عجزت عن قولها ؟.. لم يمكنك الكذب ، وأنت تنظرين إلى عينىَّ ؛ لأنك تحبِّيننى أنا لا هو .

صاحت فى وجهه :

— اصمت .. لايحقُّ لك أن تقول هذا ، فأنا مخطوبة لـ(خالد) ، وأُحِبُّه .. هل سمعت ؟.. أُحبّه .. ابتعد عن طريقى ، ولاتدعنى أراك .

لم يتخلَّ عن ساعدها ، وهو يقول :

— لاتعاندى قلبك يا (ليلى) .. يجب أن تعرفى أن بعض الأمور ، التى تبدو سيئة ظاهريًا ، لها من الدوافع مايجعلها كذلك ، أو مايمنحها هذا المظهر ، دون أن تكون كذلك بالفعل .. فربما أننى لست مثاليًا كـ(خالد) ، ولكننى لست بهذا السُّوء الذى تتصوَّرينه .

قالت فى مرارة :

— اترك ذراعى لو سمحت .

محسن :

— سأتركه يا (ليلى) ، ولكننا سنلتقى مرَّة أخرى ، فهناك أمور عديدة ينبغى أن أشرحها لك ، حتى لايكون حكمك علىَّ ظالمًا .

لم يكد يترك ساعدها ، حتى هرولت عَبْرَ الشارع ، محاولة الابتعاد عنه بقدر الإمكان ، فقد شعرت بشىء خفىّ يمسّ أوتار قلبها ..

شىء تمنَّت ألا تشعر به أبدًا ، تجاه هذا الشخص ..

ولكن هذا الشىء كان أقوى منها ، ولقد جعلها تشعر بالخوف ..

وبالذنب ..

* * *



١١ ـ أميرة أحلامى ..

شعرت (ليلى) بحَيْرة شديدة ، وهى تجلس فى مواجهة (خالد) ..

هل تخبره بلقائها مع (محسن) أمس ؟.. أم تخفى الأمر عنه ؟..

شعرت أن إحساسها بالذنب لن يفارقها أبدًا ، لو لم تخبره ، ولكنها حاولت إقناع نفسها بأن عدم إخباره سيكون أفضل ؛ لأن معرفته بكلمات (محسن) إليها قد تقوده إلى هواجس شتى ، أو إلى صدام مع ابن عمه ، وهى لا تريد هذا أو ذاك ..

انتزعها صوت (خالد) من شرودها ، وهو يسألها مبتسمًا :

ـ لِمَ لا تأكلين ؟

تناولت أدوات المائدة ، وراحت تعمل سكّينها فى شريحة اللحم الموضوعة أمامها ، دون رغبة حقيقية لتناول الطعام ، فسألها :

ـ أهناك ما يضايقك ؟

أجابته ، وهى تهزُّ رأسها :

ـ لا .

عاد يسألها :

ـ ألا يرُوق لك الطعام ؟.. يمكننا أن نطلب وجبة أخرى ، أو نذهب إلى مكان مختلف .

هزَّت رأسها مرَّة أخرى ، قائلة :

ـ لا .. ليس هناك ما يدعو إلى ذلك .

رفعت قطعة اللحم إلى فمها ، ثم لم تلبث أن أعادتها إلى طبقها ، وهى تقول :

ـ (خالد) .. ألا يمكننا أن نعجِّل بالزواج ، قبل الموعد الذى حدَّدناه ؟

أسعدته رغبتها فى سرعة الاقتران به ، وقال مبتسمًا :

ـ لابدَّ من إعداد الترتيبات اللازمة .

ولكن نظرة القلق فى عينيها جعلته يستطرد :

ـ على أيَّة حال ، لن يستغرق هذا أكثر من ثلاثة شهور .

عادت تحرك شوكتها فى الطبق فى شرود ، وهى تتساءل :

ـ لماذا سألته التعجيل بالزواج ؟..

ـ أهى حقًا راغبة فى هذا التعجيل ؟..

من المؤكد أنها لم تكن تفكر فى هذا ، قبل أن ترى (محسن) أمس ، بل إنها حتى لم تهتم بمعرفة موعد الزواج ..

ما الذى طرأ عليها ، ودفعها إلى هذا الاقتراح إذن ؟..

إنها خشيتها من (محسن) حتمًا ..

بل خشيتها من ضعفها نحوه .. لقد شعرت بذلك منذ أمس ..

ولكن ما الذى يَعْنِيه هذا ؟

أما زالت تحبُه كما قال ؟..

لا .. لايمكن أن يكون هذا صحيحًا ، وإلَّا فما معنى شعورها نحو (خالد) ؟..

أليس هو نفس الشاب ، الذى قالت أمس أن أيَّة فتاة تتمنَّاه ؟

أليس هو الذى جدَّد ثقتها بنفسها يومًا ، وجعلها تؤمن بقيمة الحب من جديد ؟..

ما الذى تخشاه إذن ؟..

ما الذى يثير القلق داخلها ؟..

أهو (محسن) وكلماته ؟..

كيف يمكن أن يفعل بها (محسن) هذا ، وقد ميَّزت معدنه ، وبدا لها واضح الرَّداءة ، لايساوى ذرَّة من معدن (خالد) النفيس ؟..

وتأملت وجه (خالد) ، وهى تسأل نفسها :

ــ هل يمكن ألَّا يخضع الحب لقواعد العقل والمنطق ، كما قال (محسن) أمس ؟.. هل يمكن أن نحبَّ شخصًا نبغض صفاته ؟.. أيكون ارتباطى بـ(خالد) قائمًا على الالتزام فقط ؟

هزَّت رأسها فى قوة ، وكأنما تنفض عنها هذه الخواطر ، ولاحظ (خالد) ذلك ، فترك طعامه وتناول يدها ، وهو يقول فى قلق :

ــ إنك لاتبدين طبيعية على الإطلاق .. أخبرينى ماذا بك ؟

ــ لاشىء .. يبدو أننى متعبة قليلًا .

أتريدين العودة إلى المنزل ؟

ــ نعم .. أظنّنى أحتاج إلى بعض الراحة .

ــ حسنًا .. هيَّا بنا .

ــ معذرةً .. أفسدت عليك أمسيتك .

ــ المهم أن تكونى بخير .. ما رأيك لو مررنا بطبيب فى أثناء ذهابنا إلى منزلك ؟

ــ لا .. الأمر لايستحق ذلك .. سأحصل على بعض الراحة فحسب ، فلقد بذلت جهدًا كبيرًا فى العمل اليوم .

عاد بها إلى منزلها ، وسألها وهو يُوقف سيارته إلى جواره :
ـ أيمكننى الاطمئنان عليك هاتفيًا ؟
اغتصبت ابتسامة باهتة ، وهى تقول :
ـ سأتصل أنا بك ، واطمئن ، فالأمر لا يستحق كل هذا .
همَّت بمغادرة السيَّارة ، ثم توقَّفت قائلة :
ـ (خالد) .. حاول أن تمرَّ علىَّ فى الشركة ، وتوصِّلنى إلى منزلى ، كلما سمحت ظروف عملك بذلك .
قال مبتسمًا :
ـ سأبدأ ذلك اعتبارًا من الغد ، ولكنني أقترح أن تحصلى على إجازة عدة أيام ، لاسترداد حيويتك ونشاطك .
وعندما تركها وانصرف ، لم يكن قلبه يشعر بالراحة أبدًا ..

* * *

كانت تراقب الشاطئ فى ارتياح ، عندما سمعت صوتًا يأتى من خلفها ، قائلًا :
ـ أحسنت بالمجىء إلى هنا .. فلقد كان هذا هو مكاننا المفضَّل دومًا .
التفتت إلى صاحب الصوت فى حِدَّة ، وهى تقول :
ـ هل بلغ بك الأمر أن تتسلَّل خلفى هكذا ؟

أجابها (محسن) فى هدوء :
ـ إنها مصادفة وليس أكثر .. لقد كنت فى زيارة قصيرة لجدَّتى ، فعلمت منها أنك هنا فى (الإسماعيلية) ، ولقد دفعنى الحنين إلى هذا المكان ، دون أن أعلم أننى سأراك هنا .
قالت فى انفعال :
ـ أنت كاذب ، على أيَّة حال ، كنت أهمّ بالانصراف .
همَّت بمغادرة المكان ، ولكنه اعترض طريقها قائلًا بنبرة رجاء :
ـ (ليلى) .. كان من الضرورىّ أن أراك على أى نحو كان .. أريد منك أن تسمعينى .
ازداد انفعالها ، وهى تقول :
ـ ليس بيننا ما يقال ، وينبغى أن تقدِّر أننى مخطوبة لآخر ، وأن مطاردتك لى على هذا النحو غير جديرة بالاحترام .
هتف :
ـ اعذرينى يا (ليلى) ، فما زلت أحبُّك ، ولست أقوى على كتمان مشاعرى نحوك .
صاحت فى وجهه :
ـ لا تنطق هذه الكلمة أبدًا .. لقد انتهى ما بيننا تمامًا .

محسن :

ــ لا .. لم ينته .. مجيئك إلى هنا دليل على أنه لم ينته .

ليلى :

ــ ليست هناك أيّة دلالة لمجيئى إلى هنا ، فهذا أحد أفضل الأماكن لى (الإسماعيلية) ، وعمومًا لن آتى إليه بعد اليوم ، ما دمت تفكّر على هذا النحو .. والآن ابتعد عن طريقى وإلّا أخبرت (خالد) بمطاردتك لى .

قال مهدئًا من ثورتها :

ــ حسنًا .. لن أعترض طريقك بعد الآن .. فقط امنحينى بعض الوقت لأشرح موقفى .. هذا كل ما أطلبه منك .

شعر باستسلامها ، فأضاف فى سرعة .

ــ لقد تطلّعت إليك طِيلة عمرى كأميرة .. أتذكرين كيف كنت أردّد ذلك على مسامعك دوْمًا ، وكنت تظنّينه نوعا من المُزاح والدُّعابة ، ولكنى كنت أعْنِى ذلك تمامًا ؛ ولهذا قرّرت ألا أتزوّجك قبل أن أوفّر لك حياة الأميرات التى تستحقينها ، ولكن هناك مسافة شاسعة بين الطموح والواقع .. ربما تقولين إن هذا تفكير خاطئ ، ولا مبرِّر له ، ولكن هكذا أفكّر ، ولأننى كنت أحبُك ، فقد حاولت أن أمنحك كل الرفاهية .. كنت أريد أن أبدو لك إنسانا متميّزا ، وليس (محسن) العابث

المستهتر الذى عرفته .. ووجدت فرصة تحقيق هذا فى سفرى إلى (ألمانيا) ، فذهبت محمّلًا بالطموح ، ولم أشأ أن أصارحك بالهدف الحقيقى لسفرى ؛ لعدة أسباب ، أوّلها : خوفى من أن تحاولى استخدام عواطفى لمنعى من السفر ، وثانيًا : خشية أن أفشل هناك ، وأعجز عن تحقيق وعدى لك .

عقّبت فى سخرية :

ــ أكان من ضمن طموحاتك أن تتزوّج ابنة مدير الشركة ؟

محسن :

ــ ليس الأمر كما تتصوّرينه يا (ليلى) .. لقد بدأت العمل فى تلك الشركة ككيميائىٍ بسيط ، وتعرّفت (أولجا) فى أثناء العمل ؛ إذ كانت تعمل كزميلة لى ، وتحوّلت معرفتى بها إلى حبٍّ من طرف واحد .. من طرفها هى ، ولم أحاول تشجيعها أبدًا ، وذات يوم أصابنى إغماء فى غرفة اختبارات الغازات الكيميائية ، وكدت ألقى حَتْفِى فيها ، لولا (أولجا) ، فقد كانت تتابع مقياس ضغط الغاز على شاشة الكمبيوتر ، وعندما تزايد الضغط بشدة ، دون أن أغادر الحجرة ، أسرعت تستغيث بفريق الأمن ، ولكن رجاله خشوا اقتحام حجرة الغاز ، فخاطرت هى بنفسها ، واقتحمتها لتنقذنى ، وهكذا

وجدتنى أخطبها ، فى موجة عرفان بالجميل ، ولكننى لم أستطع الاستمرار فى هذا إلى النهاية ، فكما أخبرتك من قبل ، قد يدفعنا الامتنان إلى الارتباط بشخص ما ، ولكنه لا يدفعنا لحبه أبدًا ، وأنا أحببتك ، ولم أحب سواك ، ولهذا غادرت (ألمانيا) ، وتحمّلت المخاطر من أجلك ؛ لأننى عجزت عن الابتعاد عنك .. وعندما وصلت ، وجدتك للأسف مرتبطة بشخص آخر .. ومَنْ هذا الشخص ؟.. (خالد) .. ابن عمّى وصديق طفولتنا .. لقد تظاهرت أمامك بالصلابة والجلد ، ولكنك لا تتصورين مدى صدمتى .

بدا التأثر على وجهها ، وهى تقول :

ـ أنا الأخرى صدمنى أن أعلم أنك قد تخلّيت عنّى ، وكان (خالد) هو الشخص الوحيد الذى وقف إلى جوارى ، وشملنى بحبّه وحنانه ، بعد أن جعلنى سفرك المفاجئ إلى (ألمانيا) أشعر أننى مرفوضة منك تمامًا .

محسن :

ـ لقد ظللت واقعًا تحت تأثير التزامى تجاه (أولجا) طويلًا ، ولم أرغب فى أن أقيّدك إلىّ ، ولذلك حاولت دفعك إلى كراهيتى ، وحاولت أن أبث تلك الصورة القبيحة عنّى ، عَبْرَ (خالد) إليك .. ولكننى عجزت عن تمثيل ذلك الدور

طويلًا ، فأنا أحبُك ، وأنت تحبّيننى ، ومن الخطإ أن نحرم قلبينا كل هذا الحبّ .

وأشاح بوجهه ، مستطردًا فى مرارة :

ـ ولكن ما الفائدة ؟ لقد وقع ما وقع ، ولم يَعُدْ يهمّ من تسبَّب فى وقوعه .

وعاد يتطلّع إلى عينيها ، متابعًا :

ـ هذا كل ما أردت قوله يا (ليلى) .. أردت منك أن تعلمى أننى لم أخدعك ، وأننى ما زلت أحبُك ، وفى النهاية أتمنّى لك كل السعادة مع (خالد) ، فقد يكون حظّك معه أفضل من حظّى معك ، أما أنا فسأواجه مصيرى ، وسأحتمل حرمانى منك ، ودخولى إلى السّجن .

ارتسم الفزع على وجهها ، وهى تهتف :

ـ السّجن ؟!

لم يحاول تفسير الأمر لها ، وهو يتركها قائلًا :

ـ وداعًا يا (ليلى) .. وداعًا .

ولكنها لم تحتمل ابتعاده ..

وهتفت تناديه بكل اللّهفة واللّوعة ..

لقد عادت ..

عادت إليه ..

* * *

١٢ ــ الحبّ والمخاطرة ..

لحقت به (ليلى) ، وأمسكت ساعده هاتفة :

ــ ماذا تعْنِي بذكر السِّجن ؟

صمت قليلًا ، ثم أجاب فى مرارة ، دون أن يلتفت إليها :

ــ عندما طلبت الزواج من (أولجا) ، رفض أبوها تمامًا ؛ لأنه لا يثق فى الأجانب ، ويرى أننى أسعى فقط خلف ثروتها ونفوذه ، ولكنها أصرَّت على الارتباط بى ؛ لأنها تحبّنى فى شدة كما أخبرت ، مما اضطر والدها للموافقة ، شريطة أن أوقِّع له إيصالًا بمبلغ ثلاثين ألفًا من الماركات الألمانية ، احتفظ به ؛ لاستخدامه ضدى ، إذا ما حاولت التخلّى عن ابنته يومًا ، أو أسأت إلى مشاعرها ، ولقد وافقت على هذا آنذاك ، تحت تأثير الامتنان والعرفان بالجميل ، على أمل أن أنجح يومًا فى نسيان حبّى لك ، وأن أحبها ، ولكننى عجزت .. لم أستطع نسيانك ، ولم أستطع أن أحبَّها ، وطلبت منها الانفصال ، فثارت وهدَّدتنى بالإيصال ، وبأنها ستعمل مع أبيها على سجنى ، وعلى الرغم من ذلك فقد تركتها ، وأتيت مضحيًا بكل شىء ..

غمغمت (ليلى) فى إشفاق :

ــ وماذا ستفعل الآن ؟

محسن :

ــ لا شىء .. لقد منحتنى مهلة أسبوعين للتفكير ، وبعدها ستبلغ الشرطة ، وستسلمنى السلطاتِ هنا إلى السلطات الألمانية لمحاكمتى ، طبقًا لاتفاقية تسليم المجرمين ، الموقَّعة من الدولتين .

قالت فى أسى :

ــ ألهذا قلت إنك جئت مخاطرًا بالكثير ؟

قال فى مرارة :

ــ نعم .. جئت لأجدك مخطوبة لغيرى .

هتفت :

ــ (محسن) ، لابدَّ أن نستسلم لمصيرنا ، عُدْ إلى فتاتك قبل انقضاء المهلة ، وسأعود أنا إلى (خالد) .

ولكنه أجابها فى إصرار :

ــ لا .. يمكنك أن تستمرى فى ارتباطك بـ(خالد) ، أما أنا فلن أخدع قلبى مرَّة أخرى ، وأبنى حياتى على مشاعر زائفة ، أو عرفان بالجميل .. السجن يبدو لى أفضل من هذا .. لا تقلقى بشأنى ، وانعمى بسعادتك .

ليلى :

ـــ أيّة سعادة تلك ، وأنا أعلم ما سيضيرك بسببها ؟

نظر إليها بعينين حزينتين ، وقال :

ـــ ليس هذا ما كنت أرجوه .. لقد تمنّيت أن أسمع منك كلمة حبّ لا شفقة .

غمغمت متردّدة :

ـــ (محسن) .. إننى .. إننى .....

أمسك مرفقيها هاتفًا فى لهفة :

ـــ إنك تحبّيننى .. قُوليها يا (ليلى) .. سأجد فيها التعويض الكافى .. قُوليها .

تطلّعت إليه قائلة فى استسلام :

ـــ نعم .. لا يمكننى أن أخدع نفسى إلى الأبد .. فأنا أحبُك ، وأشعر بالذنب لهذا .

اغتبطت عيناه ، وهو يقول :

ـــ إنها كلمة تستحق أن يضحّى المرء من أجلها .

هزّت رأسها فى رفض ، قائلة :

ـــ لا يا (محسن) .. لن تكون هناك تضحيات ، يجب أن تسدّد المبلغ للرجل ، وتسترد ذلك الإيصال منه .

ـــ ومن أين آتى بمبلغ كهذا ؟

ـــ ألا يمكنك تدبيره مع والدك ؟

ـــ والدى مدين لأحد أقاربنا بخمسة آلاف جنيه ، عجز عن سدادها حتى الآن .

ثم تطلّع إليها فى هيام ، مضيفًا :

ـــ لا أريد أن ألْقى فى السجن يا (ليلى) .. الآن فقط أشعر بقسوته ، ليس بسبب السجن نفسه ، ولكن لأنه سيحرمنى منك ، بعد أن تأكدت من حبك لى .. أريد أن أبدأ من جديد ، وأن أُصحّح أخطاء الماضى .. يجب أن نتزوّج يا (ليلى) .

هتفت فى دهشة :

ـــ نتزوّج ؟

ـــ نعم .. إننا يحب بعضنا بعضًا ، ومن حقّنا أن نتزوج .

ـــ و (خالد) ؟!

ـــ إنه ليس الرجل المناسب لك .. إنه مجرّد صديق ، عرفته فى طفولتك ، وله مكانة وتقدير فى نفسك ، ولكنه ليس حبيبًا أو زوجًا .. هذا يضعه فى تصنيف خاطئ فى حياتك .

ـــ ولكن هذا سيؤلمه كثيرًا .

ـــ وإنه أقلّ إيلامًا من أن تتزوّجيه ، وأنت تحبّين غيره ..

لابدَّ أن تحاولى إقناعه بذلك ، وهذا أفضل لكليكما .

ــ ولكن أبى لن يوافق على زواجنا .

ــ أبوكِ رجل طيِّب .

ــ يبدو أنك لاتعرفه جيِّدًا .. إنه يبدو طيِّبًا متساهلًا ، ولكنك ستجده عنيدًا صلبًا ، عندما تخبره بأنك تنوى الارتباط بى مرَّة أخرى .. قد يدعوك إلى منزله ، نزولًا على واجب الضيافة ، فهذا أحد مبادئه ، ولكنه لن يتردَّد فى إلقائك خارجه ، لو ضاق بأسلوبك ، ومهما حاولت أن تبرِّر له موقفك ، فستجد أمامك كتلة من الصلابة والعناد .

ــ فلنضعه أمام الأمر الواقع إذن .

ــ هل تريدن أن أتزوَّج دون موافقته ؟ مستحيل !

ــ لماذا يا (ليلى) ؟.. إننا لا نرتكب أى خطإ ، كَفَى ما أضعناه من حبِّنا .. إننا سنصحِّح خطأً ارتكبناه قديمًا ، فما سيرفضونه اليوم سيقبلونه غدًا ؛ لأنه سيصبح أمرًا واقعًا ، أما لو استسلمنا لرفضهم اليوم ، فسنندم على ذلك طِيلة عمرنا .

ــ ولكن كيف يمكننا أن نفعل ذلك ؟

ــ سأخبرك أنا .. المشكلة الوحيدة تكمن فى تدبير مبلغ الثلاثين ألف مارك .. أنا يمكننى تدبير المبلغ ، ولكن ليس قبل

ثلاثة أشهر ، فلدىَّ قطعة أرض ورثتها عن أمِّى ، سيستغرق بيعها هذه الفترة تقريبًا .

ــ رائع .. أنت قلت إن والد (أولجا) ثرىّ .. وسيمكنه الانتظار .

ــ لن يفعل ؛ لأنه لا يحتاج للمبلغ ماديًّا ، وإنما يتخذه وسيلة للانتقام منِّى .

بدا وكأنه يفكِّر فى عمق ، قبل أن يلتفت إلى (ليلى) ، ويهتف كمن وجد مخرجًا .

ــ (ليلى) .. أنت تملكين الحل .

هتفت فى دهشة :

ــ أنا ؟!.. كيف ؟!

أجابها فى لهفة :

ــ لقد أخبرتنى أنك تحتفظين بمجوهرات أمِّك الراحلة فى صوانك الخاص ، وأخبرتنى أنها تساوى خمسة وعشرين ألفًا ، وأظنها تساوى مبلغ الثلاثين ألف مارك الآن ، وأنها ستحل المشكلة .

تراجعت فى ذُعر ، هاتفة :

ــ أتريد منِّى أن أسرق مجوهرات أمِّى ؟

قال فى انفعال :

ــ إنها ليست سرقة .. سنستعيرها فحسب ، سنرهنها لأسدِّد المبلغ ، ثم أعيدها عندما أبيع قطعة الأرض .

وعندما رأى الخوف والشك فى عينيها ، تراجع قائلًا :

ــ لا .. لن يمكنك فعل ذلك .. إننى أعلم .

ورفع يديه إلى مستوى كتفيه ، مستطردًا فى يأس :

ــ ولكنه كان الحل الوحيد .. ومن المؤلم أننى سأفقدك عندما استعدت حُبّك .

تردَّدت لحظات ، وغمغمت :

ــ ولكن كيف يمكننى أن آخذ مجوهرات أمّى ؟.

أجابها فى سرعة :

ــ إنك تحتفظين بها فى صوانك ، ولن يشعر أى مخلوق بغيابها ، حتى أبيع قطعة الأرض ، وأُعيدها إليك .

غمغمت فى ألم :

ــ لن يمكننى فعل ذلك أبدًا .

أمسك كتفيها ؛ قائلًا فى همس مؤثّر :

ــ ولكنك ستفعلينه من أجلى .. من أجل حبّنا .

بدا استسلامها واضحًا ، فتابع فى ثقة :

ــ اسمعينى جيدًا .. إننى أستعد للسفر بعد غد ، قبل انتهاء المهلة التى حدَّدتها لى (أولجا) ، وسأنتظرك غدًا فى فندق (سونستا) ، فى الحجرة رقم خمسة عشر ، أحضرى لى المجوهرات هناك ، لو أردت مساعدتى ، وسأتغيَّب ساعتين ، أذهب خلالهما لرهن المجوهرات ، والحصول على المبلغ ، ثم أعود لأصحبك إلى أقرب مأذون ؛ لنعقد قراننا قبل سفرى .

غمغمت فى توتُّر :

ــ ألا يوجد حل آخر ؟!

أجابها فى حزم :

ــ لا .. هذا هو الحل الوحيد ، وهو يحتاج إلى بعض الشجاعة والمخاطرة .. ألا يستحق حبّنا وزواجنا ذلك ؟

أومأت برأسها مؤيِّدة ، وقلبها يرتجف ..

يرتجف فى قوَّة ..

* * *

١٣ ـ الحقيقة المؤلمة ..

شعر (خالد) بالدهشة ، عندما رآها تدخل إلى حجرته فى الشركة ، ونهض يستقبلها فى حرارة ، قائلًا :

ـ مرحبًا يا (ليلى) ، لابدَّ أنه أمر جلل ، ذلك الذى دفعك لزيارتى فى الشركة لأوَّل مرَّة .. ماذا تشربين ؟

غمغمت فى حَرَج :

ـ لقد أتيت لأقول لك .. لأقول .....

ابتسم قائلًا :

ـ هل تقصدين لقاءك بـ(محسن) ؟

هتفت فى دهشة وجَزَع :

ـ هل عرفت ؟

أجابها فى هدوء :

ـ (الإسماعيلية) مدينة صغيرة ، والأخبار تتناقل فيها فى سرعة ، ولكن هذا الأمر لايستحق اضطرابك هذا ، فـ(محسن) ابن عمّى ، وهو لك الآن بمثابة أخ ، ولكن أين خاتم الخِطبة ؟

لم تحاول إجابته ، بل مدَّت له يدها بخطاب مغلق ، وهى تقول :

ـ (خالد) .. هذا الخطاب سيشرح لك كل شىء ، وسيخبرك بما أعجز أنا عن قوله لك ، ولكن لاتفضّه قبل رحيل ، ولا تظلمنى فى حكمك علىَّ .

تطلَّع إليها فى قلق بالغ ، وتناول منها الخطاب فى آلية ، وقبل أن ينبس ببنتِ شَفَة ، كانت تهرع مغادرة الحجرة ، غير مستجيبة لنداءاته ، فأسرع يفضّ الخطاب ليجد أمامه مفاجأة ..

خاتم الخِطبة ..

خفق قلبه فى توتُّر وقلق ، وأسرع يقرأ الخطاب ، الذى شرحت له فيه (ليلى) كل شىء ، فيما عدا استيلاءها على مجوهرات أمِّها لصالح (محسن) ..

وارتجفت أصابعه ..

وسقط الخطاب بين قدميه ..

وسقط معه قلبه ..

* * *

استقبلها (محسن) فى حرارة ، وعيناه تلتهمان اللفافة التى تحملها ، فقدَّمتها إليه قائلة :

ــ ها هى ذى المجوهرات ، لن يمكنك أن تتصوَّر كيف كان من الشاق أن أفعل ذلك ، فلم أفكّر أنا أو أبى يومًا فى التفريط فى فصٍّ واحد منها ، فهى الذكرى المتبقّية من أمّى (رحمها الله) .

أجابها فى لهفة :

ــ لا تحزنى .. ستستعيدينها بالكامل ، وقبل أن يشعر والدك ، أعِدك بذلك ، والآن سأذهب لإتمام ما اتفقنا عليه ، انتظرينى ، ولن أتغيّب طويلًا .

قالت فى مرارة :

ــ لست أدرى إلى أى طريق تقودنى يا (محسن) ، ولكننى أشعر بأن كل هذا خطأ ، ولا أملك القدرة على التراجع ، فأنا أحبّك حقًّا ، ويؤلمنى أن يدفعنى هذا الحب إلى كل ذلك التهوُّر .

ربّت على وجنتها مطمئنًا ، وهو يقول :

ــ سترين أن مخاوفك ليست فى محلها ، وأن ما تطلقين عليه اسم التهوُّر ، هو أعقل ما فعلناه فى حياتنا .. والآن انتظرينى فى (كافيتيريا) الفندق ، وسأعود لأصطحبك إلى المأذون ..

قالها وانصرف ..

* * *

مرّت الساعات طويلة ، ثقيلة ، مملّة ، وبدأت (ليلى) تشعر بالقلق ، بعد خمس ساعات كاملة من غياب (محسن) ، واستفحل داخلها شعورها بجسامة الخطإ ، وراح بصرها يدور فى المكان فى توتُّر ، حتى سمعت من خلفها صوتًا مميّزًا يقول :

ــ جلوسك هنا مضيعة للوقت ، فهو لن يعود .

هبّت واقفة ، والتفتت إلى مصدر الصوت ، هاتفة فى شحوب :

ــ (خالد) ؟!

سألها فى مرارة :

ــ لماذا يا (ليلى) ؟.. لماذا فعلت هذا ؟

غمغمت متلعثمة :

ــ لست أملك تفسيرًا ، ولا يمكننى أن أشرح لك ..

قاطعها :

ــ لست أحتاج إلى شرحٍ أو تفسير ، فلقد قرأتهما فى رسالتك ، ولكن ما يدهشنى حقًّا هو تصديقك لـ (محسن) ، واستسلامك لخداعه مرّة أخرى .

تطلّعت إليه فى خوف ، قائلة :

ــ خداعه ؟!.. لا يا (خالد) .. (محسن) يحبُّنى حقًّا .. إنه سيأتى بعد قليل ، ليصطحبنى إلى المأذون .

قال فى مرارة :

ـ لن يأتى يا (ليلى) .. لقد سافر منذ ساعتين إلى (النمسا) .

هتفت فى فزع وذُهُول :

ـ سافر ؟!

أجابها فى ألم :

ـ ليتك انتظرت حتى أنتهى من قراءة خطابك ، وليتنى أعرف طريقك منذ البداية ، فلقد بذلت جهدًا كبيرًا حتى اهتديت إليك فى الفندق .

وزفر فى قوَّة ، مستطردًا :

ـ لقد التقيت أمس فقط بصديق لـ (محسن) ، تعرَّفه فى (ألمانيا) ، وجاء خصيصًا لمقابلته ، ولقد شرح لى هذا الصديق الكثير من الأشياء عن (محسن) ، فقصته التى رواها لك عن الفتاة الألمانية حقيقية ، ولكنه هو الذى نصب شباكه حولها بوصوليته ، ليستغل ثراءها ونفوذ والدها ، وعندما انكشف أمره طرده والدها من الشركة ، وانتهت علاقته بـ (أولجا) ، وذاق (محسن) مرارة الفقر هناك ، بعد أن نفدت نقوده ، وعجز عن الالتحاق بعمل آخر ، حتى التقى بأحد المصريين

المقيمين فى (النمسا) ، والذى كان فى زيارة قصيرة إلى (ألمانيا) ، وكان يستعد لإنشاء شركة للتجهيزات الطبِّيَّة فى (النمسا) ، فأقنعه (محسن) بأنه يستطيع مشاركته فيها ، وطلب منه الرجل خمسين ألف جنيه ، ونجح (محسن) فى الحصول على عشرة آلاف جنيه من بعض المصريين فى (ألمانيا) ، بأسلوب ملتوٍ ، حيث أقنعهم بأنه سيجعل منهم شركاء فى شركته ، ومن بينهم ذلك الذى روَى لى كل هذا ، وعندما أدرك (محسن) أن المبلغ ضخم للغاية ، طلب من شريكه ، مهلة أسبوعين ، حتى يستكمل المبلغ المطلوب ، ويلحق به فى (النمسا) .

وزفر مرَّة أخرى فى مرارة ، قبل أن يضيف :

ـ وعندئذ فكَّر فى الاستيلاء على مجوهرات أمِّك .

هتفت فى هَلَع :

ـ هل علمت بأمرها ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى ألم :

ـ لقد كشف والدك الأمر منذ ساعات ، ولقد صدمه هذا كثيرًا ؛ لأنه لم يصدِّق أن تفعلى ذلك ، وسقط مريضًا فى منزله .

بكت وانتحبت قائلة :

ـ أيَعْنِى هذا أنها مُخدعة منذ البداية ، وأن حبّه مجرّد غش وتدليس .

قال فى حِدّة :

ـ بالطبع .. لقد تزوّج (محسن) من شقيقة شريكه فى النمسا .

شهقت فى رُعب :

ـ تزوّج ؟ هل تزوّج قبل حضوره إلى (الإسماعيلية) ؟

أجابها فى صوت يحمل نبرة قاسية :

ـ نعم .. كان يخدعك طيلة الوقت .

انهارت قائلة :

ـ كيف سمح له ضميره بأن يفعل بى هذا ؟.. كيف ؟..

أجابها (خالد) فى قسوة :

ـ تمامًا كما سمح لك ضميرك بخيانة حُبّى الكبير لك .

تعالَى نحيبها ، وجذب إليها انظار رواد (الكافيتيريا) ، فى حين استطرد (خالد) :

ـ ابكى يا (ليلى) ، فقد يطهِّرك بكاؤك من ذنوبك ، أمّا أنا فلن يمكننى أن أغفر ، أو حتى أشعر بالشفقة نحوك هذه المرّة .. قلبى الجريح سيعجز عن ذلك .

تفجّرت الدموع كالفيضان ، وأسرعت تعدُو إلى الخارج ، فارتجف قلبه من أجلها مرّة أخرى ، وأسرع خلفها ..

ورآها تعدُو عَبْرَ الطريق ، فهتف بها :

ـ (ليلى) .. انتظرى يا (ليلى) ..

ورأى سيّارة تندفع نحوها ، وتحاول تفاديها عبثًا ، فصرخ :

ـ (ليلى) .

ثم حدث الاصطدام ..

* * *

لم يكد الطبيب يغادر حجرة العمليات ، حتى اندفع نحوه (خالد) والدكتور (فؤاد) ، وهتف به الأخير فى لوعة :

ـ هل نجحت ؟

أجابه الطبيب :

ـ إصابتها ليست بالخطيرة ، ولكنها تحتاج إلى عملية نقل دم سريعة ، ونحن نبحث لها عن كمية من فصيلة دمها .

هتف (خالد) :

ـ إن فصيلة دمى تماثل فصيلة دمها .. سأمنحها ما تريده ..

أجابه الطبيب :

ـ رائع .. هيّا نُجْرِ لك بعض الفحوص أوّلًا ..

استغرق الأمر بعض الوقت ، حتى قال لهما الطبيب :

ــ حمدًا لله .. لقد تم إنقاذها .. يمكنكما أن ترياها الآن ، ولكن لمدة ربع ساعة فقط ، ولا ترهقاها بحديث طويل ، فما زالت تحت العلاج .

تنهَّد الدكتور (فؤاد) فى ارتياح ، وقال :

ــ أشكرك يا دكتور .. أشكرك على كل ما بذلته من جهد .

تطلَّع الطبيب إلى (خالد) ، قائلًا :

هذا الشاب يستحق الشكر أيضًا ، فدمه هو الذى أنقذ ابنتك .

رمق (فؤاد) (خالد) بنظرة امتنان ، وقال :

ــ هيَّا يا ولدى .. هيَّا نرها .

تردَّد (خالد) لحظة ، ثم قال :

ــ اذهب أنت يا عمِّى ، وسألحق بك بعد قليل .

دلف الأب إلى حجرة ابنته ، وهمس فى حنان :

ــ ابنتى العزيزة !.. حمدًا لله على سلامتك .

فتحت (ليلى) عينيها ، وغمغمت فى خُفُوت :

ــ سامحنى يا أبى .

رفع كفَّها إلى شفتيه ، ولثمها فى حنان ، وهو يقول :

ــ لقد سامحتك يا بنيَّتى ، انسَىْ كل شىء الآن ، المهم أن تعودى إلى منزلك بخير وسلامة .

قالت فى خفوت :

ــ وأين (خالد) ؟

ــ سيحضر بعد قليل .. لا يمكنك تصوُّر مدى سعادته ، عندما علم بنجاح العملية .

ــ لقد أخبرونى أنه قد تبرَّع لى ببعض دمه .

ــ نعم .. إنه لم يتردَّد فى منحك إيَّاه .

بدا الندم فى عينيها ، وهى تقول :

ــ هكذا هو دوْمًا .. لا يتردَّد فى مساعدتى ، مهما ارتكبت من أخطاء فى حقِّه .

واستطردت فى انكسار :

ــ اطلب منه أن يسامحنى يا أبى .. اطلب منه أن يغفر لى ما فعلته به .

ومن خلف ستار الحجرة ، وقف (خالد) يتطلَّع إليها ، دون أن تشعر هى ووالدها بوجوده ، والدموع تنحدر من عينيه فى صمت ، وقلبه يقول :

ــ سامحينى أنت يا (ليلى) ، فقد كنت قاسيًا عليك ، ولم أرحم آلامك .. سامحينى ؛ لأننى أعجز عن البقاء إلى جوارك بعد الآن ؛ لأن الشرخ بيننا قد اتسع ، بعد استسلامك لعواطف (محسن) وخداعه ، وأصبح يحُول دون التقائنا من جديد ..

سامحينى لأن آلام وجراح قلبى أصبحت أقوى من مشاعر الحب التى تربطنى بك .. سامحينى ؛ لأننى سأخرج من حياتك هذه المرَّة .. ولن أعود .

وغادر الحجرة فى هدوء ، دون أن يلمحاه .. وعندما حلَّقت الطائرة بعيدًا ، كان يتمنَّى أن تبتعد معه عن كل ما يتمنَّى نسيانه ، وعن حبِّه وآلامه وذكرياته ..

ولكن هيهات أن ينسى ..

ها هو ذا الفجر يقترب ، وعقله لا يزال يسترجع ذكرياته القديمة مع (ليلى) ، فى حجرته الباردة فى الصحراء ..

وهناك ، فى حجرتها ، ظلت (ليلى) تستعيد صورته كفارس نبيل فى أحلامها كل ليلة ، وفى عقلها يتردَّد سؤال واحد ورجاء واحد ..

هل يعود ؟!.

هل يعود يومًا ؟.

* * *

[تمت بحمد الله]



سلسلة رومانسية رفيعة المستوى


المؤلف

أ. شريف شوقى

السلسلة الوحيدة التى لا يجد الأب أو الأم حرجا من وجودها بالمنزل

لن أعود

أحبها حبًا جارفًا كبيرًا، وظلّ مخلصًا لها دون أن ينتظر مقابلًا لحبّه.. وعندما بادلته مشاعره أخيرًا، طلب منها أن تعاهده على الإخلاص لهذا الحب الكبير.. ولكنها لم تحفظ عهدها.. واتخذ قراره بالخروج من حياتها بلا عودة



ص

الثمن فى مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم